

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمون طيب على لوكهندوالا.

المجلد الثالث عشر | أكتوبر سنة ١٩٦٢ | العدد الرابع

الصفحة

محتويات هذا العدد

٣ الأدب الهندي المعاصر (١٤) .... الاستاذ محى الدين الألوائى ٤٨

الموضوع

الأدب الهندي المعاصر

— ١٤ —

للاستاذ محي الدين الآلوائي

« أردو »

إن لغة « أردو » إحدى اللغات الأربع عشر التي اعترف بها الدستور الهندي كلغات وطنية دستورية، للبلاد. و يتحدث بها مئات الالاف من الشعب الهندي في طول البلاد وعرضها، ومنهم الهندوس والمسلمون والسيخ، والبوديون والمسيحيون وغيرهم وإن كان مركزها في المناطق الشمالية و الغربية للهند ولها مكانة مرموقة في بعض الجهات في جنوبي الهند وشرقيها مثل حيدرآباد، ومدراس. وهي لغة نشأت وتطورت وترعرعت في التربة الهندية، وتكونت أجزاؤها من عدة لغات هندية محلية ولهجات إقليمية.

ويقال، بوجه عام، بأن لغة أردو مزيج من اللغات الاربعة السنسكرتية والفارسية والعربية والتركية. وهذه الدعوى قائمة على القياس و المظاهر اللغوية. و لكن الوقائع التاريخية و آراء علماء اللسان - من الهنود و الأجانب - لاتؤيد هذه الدعوى الشائعة. و لدى هؤلاء المحققين أن لغة أردو، كانت في نشأتها مزيجا من اللغات الآرية الحديثة و اللهجات المحلية القديمة. و من اللغات التي تركت أثرا فعالا في بناء لغة « أردو » و « السنسكرتية » و « برج بهاشا » و « راجستانية » و « كشميرية » و « بنجابية »

ولهجات شتى لأهالى « دلهى » وضواحيها مثل « هرياني » و « كهڑی بولی » و « ميواني » وغيرها.[1]

و بعد وصول المغول إلى الهند و استقرار حكمهم فيها تشكلت هذه اللغة بشكل خاص و بدأت الكلمات الفارسية و العربية و التركية تتسرب إليها و كتبت بالحروف الفارسية ، كما هو الحال فى البنجابية و الججراتية و السندية . و أن كتابة لغة بحروف خاصة لن تكون دليلا على مصدر تلك اللغة لأن الحروف ليست من الاجزاء الحقيقية للغة مطلقا . و يمكن أن تكتب أية لغة بحروف لغات أخرى[2]. وأما الخط فشيئ مستقل بذاته فما الحروف إلا وسائل لتنسيق الاصوات . والخط عبارة عن مجموعة من النقوش التى تدل على الكلمات ذات المعانى ، وأكبر دليل على ذلك « الحروف الرومانية » المستخدمة فى معظم اللغات الأوربية مع اختلاف بين فى معانى الكلمات ومفاهيمها . وقد مرت أيضا عدة تطورات فى خط الحروف السنسكرتية فكانت تكتب أولا بالخط « البرهمى » ثم بالخط « الخاروشتى » وتبعته خطوط شتى مثل : « أشوكا » و « گوبتا » و « پلوا » و « ساراسواتى » و « سردا » . وكل هذا و ذاك لم يحدث تغييراما فى الاساليب و المعانى ، وحتى فى يومنا هذا تكتب لغة من لغات الهند ـ فى عدة أشكال من الحروف.

و اذا ثبت من المستساغ أن تكتب أية لغة فى حروف اللغات الاخرى فلايدل الخط على مصدر لغة أو أجزائها المركبة . و هنا أمر آخر يجب أن نضعه نصب الأعين عند البحث عن لغة أو فيها . وهو مدى تأثر اللغات الراقية فى اللغات الأخرى ، و هذا ليس ببدع فى تاريخ اللغات

(١) تاريخ لغة أردو - للدكتور مسعود حسين .
(٢) البروفسور همايون كبير

و الثقافات . فكان من طبيعة الحضارات البشرية فى كل دور من الادوار المدنية تبادل الافكار والنظريات والأساليب والكلمات . وأن اللغة التى تتمسك بتراثها القديم وتسد أبواب الاستفادة وتعيش فى منأى عن طرق اللغات الشقيقة ـ سيما الراقية منها ـ لتحرم نفسها عن الترعرع والازدهار وتتخلف عن ركب الحياة المتطورة وتكون فى مر الأيام جامدة تمجها الاسماع وتلفظها الألسنة .

وأريد أن أقسم مقالى هذا عن « اردو » إلى ثلاثة أقسام بغية الاستيعاب والتعميم بقدر المستطاع (١) تاريخ لغة أردو ، (٢) تطوراتها ، (٣) آدابها الحديثة .

(١)

إن المكانة التى تمتاز بها « أردو » من بين اللغات الهندية الاخرى ليست وليد المصادفات المحضة بل ناتجة من التطورات الثقافية والسياسية التى دامت مئات السنين . و يتطلب البحث العلمى عن تاريخ نشأة لغة أردو وتطوراتها ومراكزها إلى تجوال حول تاريخ اللغات الآرية فى الهند قديما وحديثا واللهجات الرائجة فى مراكز « أردو » القديمة مثل دلهى ، وبنجاب ومدهيا برديش ، وبيهار وأترپرديش وغيرها :

الآريون ولغاتهم

ماهو الموطن الأصلى للآريين ؟ وماذا كانت لغتهم العامة ؟ وكيف انتشروا فى أنحاء أوربا وآسيا ؟ وهذه أسئلة لاتزال تشغل أذهان الباحثين وتشكل مواضيع شيّقة لعلماء الاجناس البشرية ومهرة الألسنة . والذى يجب أن نفهم أولا وقبل كل اعتبار ، أن وحدة اللغة لشعوب عديدة لا تدل على انحدارهم من أصل واحد كما أن تعدد اللغات لايكون دليلا

على تعدد الأجناس وأن الكتب القديمة للآريين لا تقول شيئا عن موطنهم الأصلى و تاريخ وصولهم إلى الهند بوجه التحقيق. وكان الناس يعتقدون فى الماضى بأن الآريين قد أتوا من «التبت» فلا غرو فى ذلك لأن التبت أول مسكن للانسان على وجه الارض حسب المعتقدات الهندوسية القديمة و لذا بدؤا ينسبون انحدار الآريين إلى التبت نفسها[1].

ويرى بعض علماء السنسكرتية أن القبائل الآرية من أصل هندى ثم انتشرت إلى ايران وأوربا. وقد حاول «البانديت هرى اوده» لاثبات هذا الرأى فى كتابه الشهير «هندى بهاشا أور ساهتيا كا وكاس» و سرد فيه آراء وأقوال عدة علماء من الأوربيين والهنود مثل سوامى ديانند، و «شرى نارابن بهون» وهذا القول مبنى على المعتقدات الدينية أكثر من الادلة العلمية والشواهد التاريخية. وأن الكتب السنسكرتية القديمة لم تشر مطلقا إلى كون الآريين منحدرين من أصل خارجي وفى الوقت نفسه لم تذكر أنهم نشأوا فى أرض الهند وترعرعوا فيها. وأما الكتاب الهندوكى القديم «رج ويد» (Rigveda) فيذكر عن الحروب التى جرت بين القبائل المحلية و الآريين فى فترات متراوحة ويتضح منه أن الآريين تقدموا إلى قلب القارة الهندية من سفوح شمال غربى الهند بطريق الغزو والفتح. ويقول البعض إن الآريين كانوا يستوطنون فى شواطئى نهر «سرا سواتى» فى بنجاب بينما يسجل البعض «قندهار» والتبت الموطن الأصلى لهم.

ووقع الاتفاق - إلى حد كبير - بين المحققين الجدد من علماء الألسنة على ضرورة البحث عن الموطن الأول للآريين فى مناطق الآسيا

---

(١) تطور اللغة الهندية وآدابها.

الوسطى ويقول المؤرخ البنغالى المعروف الدكتور تشاترجى[١] بأن مجال اللغات الهندية ـ الأوربية والحضارة الآرية كان ممتدا من بولندا وألمانيا غربا إلى سفوح جبال « يورال » فى آسيا الوسطى شرقا . وعلى رأى البروفسور « شريدر » أن مناطق نهر « والجا » كانت مقر القبائل الآرية فى أول الامر ومنها انتشرت إلى النواحى الغربية والجنوبية الشرقية . والجماعات المتوجهة إلى الغرب تنقسم وتستقر فى مختلف الجهات فى أوربا . وهكذا تولدت فيها لغات عديدة مثل : الارمنية ، واليونانية ، والايطالية والألمانية ، وغيرها وأما الجماعات المتوجهة إلى الجنوب الشرق فتصل عبر شواطئ بحر القزوين إلى مناطق جبال « كند » الحالية . ومنها تنقسم إلى طائفتين فاحديها تدخل إلى إيران الشرقية ومنها تصل إلى الهند بطريق وادى نهر « كابل » .

ومن المسلّم بين المؤرخين القدماء والمحدثين أن الهند قدشاهدت عدة حضارات ولغات قبل الآريين ولغاتهم وحضارتهم وأن أقدم السكان فى القارة الهندية ـ على ما وصل إليه التحقيق التاريخى إلى يومنا هذا ـ قبيلة « نيكرتيو » وأتى من بعدها رجال قبيلة « آسترك » من الهند الصينية ثم وصلت القبائل « الدراودية » من الجهات الغربية وبعدها وصل الآريون وبعض رجال القبائل التبتية ـ الصينية . وأن الآثار الدراويدية والآستركية لاتزال جزءا لا يتجزأ للحضارة الهندية المشتركة ولكن العناصر التى تركتها فيها قبيلة « نيكرتيو » مازالت موضوع البحث والتحقيق لدى المؤرخين وعلماء الآثار القديمة . وأما أثر القبائل التبتية الصينية فمنحصرة فى شمالى شرق الهند .

---

(١) نشأة اللغة البنغالية وتقدمها « انجليزية »

ولا تعد الحضارة الهندية حضارة آرية خالصة وأن كلا من المنتصر والمنهزم يتأثر بثقافة الآخر ولغته وتتجلى هذه النظرية واضحة فى تاريخ الدراوديين والآريين فى الهند. وقد أثبتت الاكتشافات التاريخية الأخيرة بأن الآريين قد واجهوا لدى وصولهم إلى الهند حضارة عريقة موطدة الاركان وكانت تفوق حضارتهم فى نواح عدة. والحضارة الهندية القائمة مزيج من العناصر الهندية القديمة والآرية. وأخذ الآريون عناصر كثيرة من المعتقدات والتقاليد الدراودية، ومنها الآراء الخاصة عن بعض الآلهة والمعبودات وكذلك الزى والعادات الاجتماعية. وقد اختلف المؤرخون فى مدى الاثر الذى تركته اللغات «الدراودية» فى اللغات الآرية وبالعكس ولانرى الآن وجودا للغات الدراودية فى شمالى الهند كلغة إقليمية بمفردها ولكن مدى الآثار اللغوية والصوتية التى تركتها تلك اللغات فى اللغات الآرية التى نشأت فى أنقاضها وترعرعت فى أحضانها لايزال موضوع بحث لدى اللغويين فى الهند وخارجها. وأن اللغات الآرية قد انتقلت بمرور الزمن من درجة الهندية الايرانية، إلى درجة الهندية الآرية؛ وحاول أحد العلماء الهنود «شيش جرى شاسترى» فى معرض البحث عن مصدر اللغات الهندية، لاثبات أن اللغات الدراويدية كلها منحدرة من أصل سنسكرتى وأن أحسن تراث للحضارة القديمة الهندية غير الآرية الخط «البرهمى» الذى نشأ فى الهند وتطور فيها، وهو الآن مأخذ حروف الكتابة لجميع اللغات الهندية ماعدا أردو. وكان الآريون يستخدمون هذا الخط منذ البداية للغاتهم القديمة والحديثة فى البلاد الهندية.[1]

---

(١) تاريخ اللغة الاردية، لمسعود حسين.

السنسكرتية واللغات الآرية

تعتبر العصور التي تراوحت فيما بين القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي والقرن السادس بعده عصورا ذهبية في تاريخ نشأة وتطورات اللغات الآرية في الهند إلى جانب السنسكرتية واللهجات المحلية. وصارت هذه اللغات بين التيارين الرئيسيين، تيار الألسنة «البراكرتية» (الفطرية) القديمة التي كانت تتقدم بسرعة فائقة بواسطة مساعي دعاة البوذية والجينية الذين التجأوا إلى لهجات عامة الشعب في دعواتهم وخطبهم ومواعظهم، وتيار «السنسكرتية الويدية» الادبية. وكانت السنسكرتية تحتل مكانة مرموقة لدى الادباء والطبقات الارستقراطية بينما أخذت «البراكرتية» محلا مرضيا في أوساط الطبقات المتوسطة والقبائل المحلية القديمة.

وجدير بالذكر بأن اللغات «البراكرتية» كانت متعددة ومختلفة اللهجات بحيث ينسب كل منها إلى المناطق التي تسود فيها. ومن «البراكرتية» الهامة، التي أخذت شكلا أدبيا في تلك العصور، (١) «شورسيني» السائدة في ضواحي «متهرا» في شمال الهند، وكانت اعلى أنواع اللغات البراكرتية بعد السنسكرتية، وتوجد صلة وثيقة وقرابة هامة بينهما (٢) «ماگدهي» الشائعة في جنوبي «بيهار». وكانت في منأى شاسع عن المجال الأدبي لبعدها عن مراكز الحضارة الآرية، و انتشرت «ماگدهي» في التخوم الشرقية لمناطق اللغات الآرية وآدابها. (٣) «مهاراشترى» ونالت «البراكرتية» «المهاراشترية» حينذاك تقدما ملموسا في الميدان الأدبي ووفرة المعاني ونهضة الاساليب و سجلت ـ بصفة خاصة ـ شوطا بعيدا في الشعر والموسيقى. ويقال بأن كثرة حروف العلة فيها قد ساعدت على تقدم هذين الفنين فيها. وصارت هذه

اللغة منتشرة فى شتى جهات الهند القديمة حتى أصبحت لغة يفتخر بها كل من يعرفها من ناطق اللغات المحلية الأخرى، (٤) «أردھ ماگدھی» أى مزيج من الماگدهية والشورسينية، السائدة فى المناطق الواقعة بين بيهار والهباد. وكانت تعرف هذه لدى أهالى دلهى «پوربى» أى لغة المشرق. ويقال بأن بوذا ومهاويرا مؤسس «الجينية» كانا يبشران بدعوتهما فى أول الامر فى هذه اللغة وأن العائلات الملكية كانت تستخدمها للشؤون الادارية والادبية على حد سواء فنالت تقدما رسميا على اللغات البراكرتية الأخرى. وتركت أثرا مرموقا فى الهندية الحاضرة السائدة فى بيهار وضواحيها. (٥) «البيشاچية» التى كانت مستخدمة فى بنجاب وكشمير. وهى أدنى أنواع اللغات البراكرتية أو الآرية. و يقول اللغويون بأنها بقايا لهجات القبائل القديمة الهمجية ولذا كان العوام يدعونها لغة «بهوت» أو «پريت» أى الأرواح الشريرة.

ويتجلى من المذكور أن كل لغة كانت تعرف منسوبة إلى منطقة معينة من الهند. ومن الحقيقة المحضة أن اللغات الدارجة - العامية - لاتتمشى فى جميع الاحوال مع اللغات الفصحى الأدبية. وعلى هذا فى مكنتنا أن نقول إن اللغات الآرية السائدة فى مختلف جهات البلاد كانت تمثل - دائما - لهجات عامة الشعب ومحاوراتهم ولوقطعت شوطا بعيدا فى الميدان الأدبى. وبعبارة أخرى فان الأعمال الأدبية التى وصلت الينا من تلك اللغات لاتدل بحكم الضرورة على اللهجات والمكالمات الدارجة فى أوساط سكان منطقة معينة فى فترة معينة من أدوار تاريخهم. و أن اللغة الأدبية لاتسير فى جميع الاحوال فى السرعة التى تتطور بها اللغة الدارجة (العامية).

لغة « أپ بهرنش »

ومنذ القرن السادس للميلاد نشأت فى الهند لغة جديدة آرية على أنقاض « البراكرتية » القديمة. وسادت هذه اللغة مختلف المرافق فى البلاد إلى القرن العاشر الميلادى. ونظرا لمكانة « أپ بهرنش » بدأت الطبقات المتعلمة والمهذبة تنصرف إليها وقيل إن اللغات الأوربية أيضا تأثرت بنفوذها وانطبعت بآدابها. وتركت أثرا فعالا فى اللهجات الكجراتية والرجپوتانية والبيهارية. وقسم العالم اللغوى الشهير « ماركنڈ » « أپ بهرنش » إلى ثلاثة أقسام (١) « ناكر أپ بهرنش » وهى الصورة الأدبية للهجات كجرات وراجستان ولكن « شورسينى » البراكرتية أثرت فيها تأثيرا بالغا حتى أن اشتهرت بأنها بنتها، وكان السبب الأصلى لتفوق « ناكر أپ بهرنش » قبولها الذى نالته فى اوساط الطبقة المتعلمة وكثرة التصانيف القيمة فيها.

مصدر خط « ناكرى »

ان الحروف التى تكتب بها الآن « الهندية » تعرف بالحروف « الناكرية »[١] و « ناكر » فى الأصالة اسم طائفة من براهمة « كجرات » و اشتهر الخط اللغوى الشائع فى تلك المناطق خط « ناكرى » فيما بعد حتى صار خطا عاما للغة الهندية فى جميع الجهات الشمالية والغربية فى القارة الهندية (٢) « براچڈ أپ بهرنش ». وكانت شائعة فى السند وأن اللغة السندية الحاضرة ناتجة منها ومركبة من أجزائها. (٣) « أپ ناكر » فكانت رائجة فى غربى « راجپوتانه » وجنوبى بنجاب. وهى مزيج من « ناكر » اى لهجات كجرات وراجستان المذكورة و « براچڈ ». وهكذا أخذت « أپ بهرنش »

(1) *Nagari or Devnagari Script*

مكانة اللغة الأدبية الأولى من بين اللغات الآرية الأخرى العديدة. وأن الاشكال القديمة لجميع اللغات الموجودة الهندية تشبه - إلى حد كبير - شكل « اپ بهرنش » فى عصرها الذهبى الأخير أى أواخر القرن العاشر للميلاد وكانت اللغة التى سادت البلاد فيما بين فترتى « أپ بهرنش » واللغات الراهنة لغة « أوهث » و فيها أيضا تكونت نهضات أدبية جمة. ومن الصعب ان تحدد الفترة التى انتهت فيها « أپ بهرنش » ونشأت اللغات الحاضرة. ومع كون التطورات اللغوية تحدث فى غاية البطء والتدريج فيكون للتقلبات السياسية والاجتماعية دخل كبير فى الاسراع باستبدال لغة بأخرى وإدخال تغيرات فى أساليبها وأصولها. وهناك دلائل أثرية تقول إن اللغات الموجودة قدتأصلت جذورها عقب الهيجان السياسى الذى حدث فى أواخر القرن العاشر الميلادى، وعاصره وصول المسلمين إلى القارة الهندية حاملين حضارة جديدة و ثقافة تمتاز عن التى مارستها الهند فى الماضى. و فى الوقت ذاته نشطت حركات دينية هندوسية فى شتى أنحاء البلاد، فانتشرت الاشعار « الويدية» والكتب الدينية فى مختلف اللغات الاقليمية. وهكذا تحررت الحركات الدينية بين الهندوس من احتكار « السنسكرتية ». و بدأت اللغات الجديدة تقوم بذاتها بعيدة عن النفوذ السنسكرتى التقليدى مع أن السنسكرتية مازالت لغة العلوم العقلية والفلسفة القديمة.

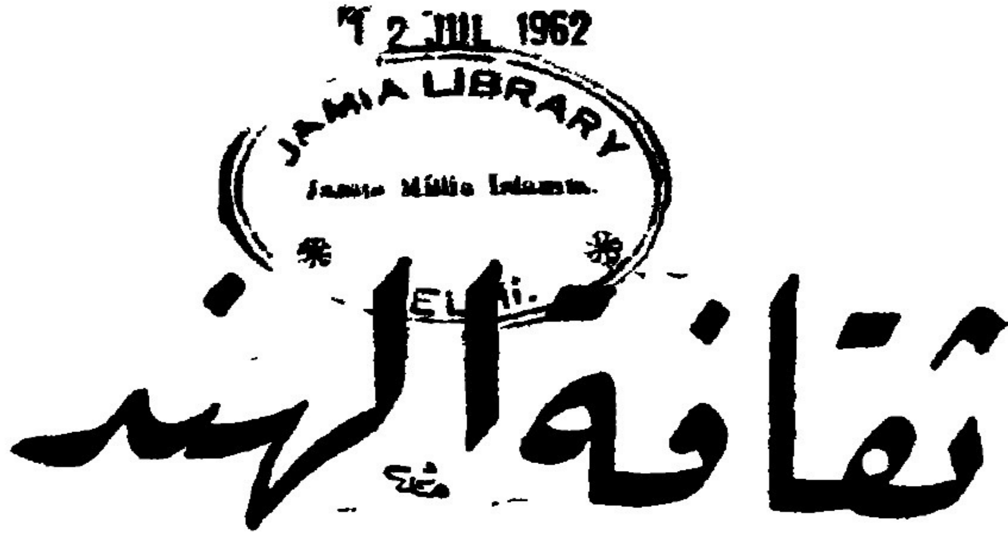
وأما الحكام المسلمون فكانوا يشجعون اللغات وآدابها وفنونها، سيما العلمية منها طبقا لذوقهم الطبيعى فى هذا المضمار و من الدليل الساطع على هذه الحقيقة التاريخية العلامة أبو الريحان « البيرونى » الذى زار الهند فى القرن الحادى عشر وقضى فيها عدة سنين يحقق فى العلوم

الهندية ويباحث علماء الهند ويناظرهم فى مواضيع علمية عديدة . وأدرك بثاقب فكره أهمية اللغة السنسكرتية فى تحصيل العلوم القديمة فكرس أوقاته فى التبحر فى هذه اللغة والمناظرة والبحث مع العلماء السنسكريتيين المعروفين « بپانديت » فى الهندية . وخلاصة القول : أن اللغات الهندية الجديدة قد نشأت من لغة « أپ بهرنش » وليست من اللغات « البراكرتية » القديمة .

بداية « الهندوستانية »

إن « الهندوستانية » بالمعنى العام لغة مشتركة من «أردو» و «الهندية» الحالية . وكانت تعرف من قبل باسم : «كهڑى بولى» ومانرى إلا فرقا دقيقا بين الهندية ، وأردو من حيث اللغة ، فبينما توجد كلمات فارسية أو عربية عديدة فى أردو نجد النفوذ السنسكرتى أكثر فى « الهندية » منه فى « أردو» وأما اختلاف الخط فلا يعتبر ـ كما أسلفناه دليلا ماديا على اختلاف اللغات وكل من الهندية وأردو وليد « شورسينى أپ بهرنش » . وقيل بأن اللغات الهندية المحلية العديدة الحاضرة منحدرة من نفس الأصل (« شورسينى أپ بهرنش ») مثل راجستانية ، وبنجابية ، وگجراتية واللهجات القبلية السائدة فى شرقى الهند ، وأما اللغات البيهارية ، والآسامية والبنغالية والأورية فيرجع أصلها إلى « ماگدهى أپ بهرنش » ومعنى هذا كله أن اللغات الهندية الراهنة فتوجد بينها وبين « أپ بهرنش » قواعد مشتركة و أساليب عامة فليس المعنى أنها كانت لغة واحدة قبل أن تتخذ أشكال اللغات المختلفة الراهنة بل هو أمر محال وقوعه فى قارة واسعة الأرجاء مثل الهند . وأن الاختلافات الاقليمية لأمر طبيعى فى مثل هذه الحالات ولوكانت تسودها لغة عامة رئيسية .

(يتبع)



يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

المجلد الثالث عشر | يوليو سنة ١٩٦٢ | العدد الثالث

الصفحة

محتويات هذا العدد

١ الأدب الهندى المعاصر (١٢) .... الاستاذ محى الدين الالوائى ١



الاستاذ محى الدين الألوائى

السنسكرتية

يرجع تاريخ اللغة السنسكرتية فى القارة الهندية إلى أربعة آلاف سنة مع أن أقدم الآداب الهندية فى هذه اللغة الكلاسيكية الكتاب المعروف «رك ويدا»[1] و يعتبر أقدم الكتب عن سلالة الآريين بأكملها - و يأتى



شكنتلا يستأذن رشى

(1) Rig Veda

بحث مفصل عن هذا الكتاب فى محله نظرا لمكانته المرموقة فى التاريخ الآرى فى الهند و هيئة اللغة فى عصر ماقبل التاريخ و المذاهب و الحضارات بوجه عام ـ و أن الآداب السنسكرتية لحية خالدة الى يومنا هذا فى طيات الكتب الدينية الهندوسية المعروفة بـ « ويداس »[1] و الكلاسيكية الهندية الأخرى العديدة . و أن الأسلوب الأدبى الرائع لهذه المؤلفات القيمة ، و القواعد اللغوية و القوانين النحوية و طرق الانشاء فى التمثيليات السنسكرتية القديمة ، ليدل على أنها كانت فى تلك العصور المديدة لغة حية شائعة فى أوساط الشعب و الميادين العلمية و الأدبية و الدينية ، و فى الوقت ذاته كانت تحتل مكانة اللغة الرسمية و الثقافية .

و ينحدر معظم اللغات الهندية المحلية من أصل سنسكرتى و لايزال نقطة الالتقاء بين هذه اللغات الاقليمية المختلفة و ليس من المبالغة فى شئ أن يقال بأن اللغة السنسكرتية تلعب دور العامل الفعال فى خلق ثقافة مشتركة و وحدة أدبية فى شتى أنحاء القارة الهندية . و نرى الأصول السنسكرتية متمكنة فى القواعد النحوية و التراكيب اللغوية لعدة لغات هندية محلية سيما اللغات الشائعة فى جنوب الهند مثل « مليالم » و « تلجو » و « كندية » و « تمل » . و أن الحروف الهجائية لها لجارية على أصول الهجائية السنسكرتية نفسها . بل و أن هذه اللغات ، سيما « مليالم » و « تلجو » مزيجة من السنسكرتية و اللهجات المحلية .

و بدأت السنسكرتية تبث نفوذها و ترسل شعاعها إلى مناطق آسيا الوسطى و الشرق الاقصى منذ القرن الأول قبل الميلاد بطريق «البوذية» . و منذ القرن الثانى للميلاد صارت اللغة السنسكرتية مطية الثقافة الهندية

---

(1) Vedas

إلى جنوب شرق آسيا و منحت لهذه البلاد تراثا مليئا بالتمثيليات و الروايات و الاشعار و الموسيقى و الرقص و النحت، و هكذا لم تعد السنسكرتية عامل التجانس للقارة الهندية فقط بل جعلت الشرق الأقصى و جنوبى شرق آسيا تحت تجانس ثقافى متين . و خلال هذه الفترة الذهبية، تركت السنسكرتية أثرا فعالا فى جميع الميادين الادبية و الفلسفية و الفنية و العلمية وغيرها .
و من بواعث الأسف للعالم الادبى أن صفحات مجيدة من الأدب القديم تبقى فى غياهب الجهل و الاهمال فى المخطوطات السنسكرتية المحفوظة فى مختلف المكتبات الاثرية مع أن جزءا كبيرا منها قد فقد على مر العصور و ملمات الزمن، ولم يبق فى أيدينا منها إلا ما طبع أو تتناقل الألسنة جيلا بعد جيل، ولا يستطيع أحد أن ينكرالنظام الفلسفى و التمثيلى و الروائى الذى ينطوى عليه الأدب السنسكرتى القديم مثل « أبانيشاد » و « گيتا » وغيرهما من التراث الهندى الذى صار جزءا هاما للفكرة العالمية، و أما الأساطير السنسكرتية فلم تشجع آداب اللغات المحلية فقط بل أوجدت - بفضل شخصياتها الروائية و المبادئ القيمة - نظريات إنسانية و مبادئ سياسية، و أفكارا وطنية و قواعد خلقية عظيمة . و تعتبر تمثيليات كاليداس و « سدراكا » و أشعارهما فى المكانة الأولى فى هذا الحقل الزاهر .

و من الميزات التى تركتها اللغة السنسكرتية فى اللغات المحلية الاخرى أن كل كاتب أو خطيب عند ما يصل إلى قمة الاساليب الأدبية فى اللغة التى يتناولها ينساق إلى اقتباس كلمات أو فقرة من الآداب السنسكرتية الخالصة ليزيد ما يقوله روعة و بهجة . وقد صارت السنسكرتية جهازا مشتركا لايمكن الاستغناء عنه كاتب أو أديب فى لغة محلية . و يمكن أن يقال بأن الوعى

الجديد الذى ساد البلاد بعد الاستقلال يرجع الفضل الكبير فيه إلى التراث القديم الزاهر للبلاد المنبعث من أعماق الآداب السنسكرتية و كذلك الروح التى تلعب وراء الانتاج الأدبى الحديث السنسكرتية ولوكانت اللغات المحلية الواسطة المباشرة .

و تمتاز الآداب السنسكرتية الكلاسيكية القديمة بجميع أنواع جودة الأسلوب ، و دقة المعانى ، و وفرة الخيال و التشبيهات الخصبة الجذابة . و بلغت التمثيليات السنسكرتية إلى أوجها فى اختيار الشخصيات الروائية و المشاهد و المحاورات الكلامية بحيث تدانى تماما مع التمثيليات و المسرحيات العصرية . و أن فن «التحسينات» السنسكرتية المعروفة باسم : « ألنكارا شاسترا »[1] لتساعد مساعدة فعالة فى سبيل النهوض بالآداب الحديثة للغات المحلية الهندية العديدة . و من هذه الناحية فلا مانع من القول بأن السنسكرتية لها جذور متأصلة فى عالم الآداب و إن لم تكن معدودة الآن فى مقدمة صفوف اللغات الحية الحديثة .

أثر اللغات الأخرى فى تطوراتها

شأن السنسكرتية فى الأخذ و العطاء شأن اللغات العالمية الأخرى . و يبدو من تاريخ تطورات هذه اللغة خلال العصور الطويلة و خصوبتها و نموها الانطباعات الخارجية الطارئة عليها و الاثر الذى تركته اللغات المعاصرة الأخرى فى مختلف الميادين الأدبية و الالفاظ و الأوزان و البحور والمصطلحات الأخرى ، وكما أنها تلقت واحتضنت فى حجرها التقاليد والأشكال و المظاهر التى كانت تسود المناطق التى احتلتها بنفس الروح التى منحته

---

(1) Alankara Sastra

الكثير للاخرى و اعتقدت السنسكرتية ـ إذا صح هذا التعبير ـ فى مبادئ فى التعايش السلمى القائلة : « عش ودع الغير ليعيش » و رأت عناصر الجمال فى الثقافات العالمية كلها .

و امتازت اللغة السنسكرتية بمقدرة ذيوعها فى جميع أنحاء الهند و بث أجنحتها فى أوساط اللغات المحلية كلها مع الاحتفاظ بقيمها و قيم شقيقاتها بعيدة عن التصارع أو التنافس . و كان الكتاب السنسكرتيون فى اطلاع مستمر على الحوادث المعاصرة لكى يستفيدوا من كل حدث هام بحرية كاملة . و فى العصور الأولى استفادوا من اليونان و الروم ، خصوصاً فى الرياضيات ، و فى الأيام المغولية تعلموا الفارسية و ترجموا منها و من العربية بحيث نشأ هناك امتزاج سنسكرتى ـ فارسى وطيد الأركان ، و مزجوا العناصر التى أخذوها من الخارج مع الأساليب السنسكرتية الأصيلة مع الاحتفاظ بشخصيتها الخاصة . و فى العصور الاسلامية الذهبية اشتدت روابط السنسكرتية مع بلدان غرب آسيا إذ قام الخلفاء العباسيون بنقل العلوم الطبية و الرياضية و الحسابات إلى العربية - و من المؤلفات الهندية السنسكرتية القديمة المنقولة إلى العربية و المتداولة إلى الآن بكل ذيوع و انتشار « كليلة و دمنة » ترجمة « پنج تنترا » ـ و لنا بحث عنها فى أواخر هذا المقال ـ و أما الغرب فقد أخذها بطريق التراجم العديدة القيمة التى رعاها العرب ، و يمكن لنا الآن أن نقول بأن الاتصالات الاوربية الجارية فى العصور الحديثة بمثابة استئناف لعلاقات الهند الفكرية القديمة مع أثينا و الاسكندرية و روما و بلدان البحر الا بيض المتوسط الاخرى . ودخل الأدب السنسكرتى فى مرحلة جديدة نتيجة بازدياد النفوذ الاوربى الحديث

سواء فى المناهج التعليمية و النظم الادارية و الميادين الفكرية و الأساليب الادبية .

العصر البريطانى

فى بداية العصر البريطانى فى الهند كانت التعاليم السنسكرتية بأيدى علماء السنسكرتية تجرى فى طول البلاد و عرضها بنشاط بالغ ، و أثناء فترة القرن التاسع عشر كان عالم السنسكرتية «باندیت» و ابنه المتعلم يكتب معظم تبرعاته الأدبية والعلمية فى السنسكرتية وحدها ، ومع تيار انتشار وسائل الطبع العصرى و خمود مجال الطبع و النشر فى السنسكرتية بقيت الآداب السنسكرتية مدفونة فى طيات المخطوطات و أرشيف المكتبات ، و لذا صار من الصعب أن نسرد بيانا مفصلا دقيقا عن الادب السنسكرتى الحديث لكون نتاجه كله أوجله غير مطبوع بحيث يحتاج إلى جهود جبارة متواصلة فى إجراء تحقيق علمى عنه ، وكتب عدد كبير من الكتاب المعاصرين الاشعار و المسرحيات و التمثيليات و القصص وغيرها فى السنسكرتية و لكن الوقت لم يأت بعد لترى هذه الأعمال الأدبية نور الانتشار الواسع فى أنحاء البلاد كلها . ولا ينبغى لأحد أن يتجاهل بأن استمرار النشاط الأدبى الايجابى فى اللغة السنسكرتية لم يكن عرضة للتوقف لأجل عدم المجال الواسع فى مضمار الطبع و النشر ، و أنتجت كمية مرموقة من الآداب الحديثة فى تلك اللغة بحيث لا تقل أهمية أو مداناة مع اللغات الحية الاخرى فى العالم .

و إلى جانب الكتاب القدامى فى شتى نواحى آداب اللغة السنسكرتية قد نشأ فى جنوب الهند كتاب فى عدة مواضيع أدبية فى أسلوب حديث و فى مقدمتهم : « بهتا سرى نارابنا شاسترى »[1] الذى ألف ثلاثة و تسعين

---

(1) Bhatta Sri Narayana Sastri

تمثيلية ، و «رادها منجالام نارايانا شاسترى»[1] صاحب مائة و ثمانية مؤلفات أدبية حول مواضيع أدبية مختلفة، و «كاويا كانتام جنابتى شاسترى»[2] و أمثالهم من الذين يفوقون أقرانهم في النواحى الأخرى من مراكز اللغة السنسكرتية و آدابها .

ووضع الأديب السنسكرتى الشهير «راما شاسترى» من ولاية ميسور كتابا فى شكل مكالمات بين «راما» و «سيتا». و هناك كتب عديدة وضعت فى السنسكرتية حول النقد الادبى و علم التاريخ و تاريخ آداب اللغة . و نبغ عدد لابأس به من مهرة الأدب السنسكرتى فى اللغة الانجليزية و آدابها أيضا مثل الدكتور « رادها كرشنان » و « راجا جوبالا جارى».

و لما أدرك الحكام البريطانيون نفوذ العالم السنسكرتى فى أوساط عامة الشعب و ما للغة السنسكرتية من أدب واسع فى التمثيليات و الأشعار و تاريخ العظماء و الملاحم وغيرها من النواحى الادبية الرفيعة أوعزوا الكتاب السنسكرتيين لوضع تواريخ العظماء البريطانيين نثرا و نظما ، و كذلك الروايات و التمثيليات فى الاطراء على الحكم البريطانى و مآثر رجاله . و وجدوا تلبية منهم بطريق الاشعار و التمثيليات بطريقة اتبعها أسلافهم فى مدح العاهل الملكى فى « وجيانكرم »[3] . و هكذا دخلت بريطانيا و عظماؤها و سياساتها ـ إلى حدما - فى الأدب السنسكرتى و ألف « راماسوامى راجا»[4] من «تنجور» فى جنوب الهند كتابا فى السنسكرتية عن بريطانيا و أشارفيه إلى حياة الشخصيات الهندية البارزة أيضا . و بحث « سرى نواسا جاريا »[5] عن الحرب العالمية الأولى فى كتابه السنسكرتى الشهير

---

(1) Radha Mangalam Narayana Sastri
(2) Kavyakantam Ganapathi Sastri (3) Vijaya Nagaram
(4) Ramaswamy Raja (5) Sri Nivasa Charya

« آنجلوجرمنى يدها ويوارانم »[1] (الحرب الانجليزية الألمانية). و كتب « سرى جوپالا أينكار » من مدراس، قصيدة الغرام فى السنسكرتية، ويدور موضوعها حول تضحية الامبراطور البريطانى ادوارد فى سبيل حبيبته.

و ان المكتبة الشعرية السنسكرتية لمليئة بالقصائد التاريخية للعائلات الملكية المحلية العديدة و لكن الأدب الشعرى الحديث السنسكرتى لايخلو عن البحث التاريخى عن الهند تحت الحكم البريطانى. و أن الكتاب المعروف « إتيهاسا پيدكا » فى خمسة أبواب يتناول الحروب التى وقعت فى عهود سلطان ٹيپو، و ملوك مراتا. و كما أن « بهارتا إتهاسا » يعطينا فكرة عامة عن تاريخ الهند فى النثر السنسكرتى.

التواريخ الشخصية

إذا نظرنا بعين التحقيق نرى فرقا دقيقا فى الأساليب المتبعة قديما و حديثا فى وضع التواريخ الشخصية لأن الأدب القديم فى التواريخ الذاتية كان يتناول ـ إلى جانب حياة الشخص المعنى و طرق عيشه ـ الحالة السائدة فى زمنه و الظروف المحيطة به والبيئة التى عاش فيها ليكون بمثابة جولة شاملة تاريخية فى ذلك العصر. و أما الأسلوب الحديث فى هذا المضمار فينحصر فى معالجة الحوادث و الظروف المحيطة بشخصية معينة، بناء على أن الكاتب العصرى يفرق بطريقة علمية بين شتى أنواع التاريخ و فروعه، من العلمى، والدينى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى و غيرها، و فى التواريخ الذاتية أيضا يتنوع فى اختيار الشخصيات من العلماء و الشعراء و الأدباء و الساسة الكبار و المصلحين الدينيين أو الاجتماعيين.

Anglo-Jarmani Yudha Vivaranam (1)

و من التواريخ الشخصية الشهيرة فى السنسكرتية « شيوا راجا وجيا »[1]
للكاتب المعروف « أمبكادتاوياسا » من جيبور ، عن تاريخ حياة « شيواجى »[2]
و « بهارتا ويرا رتنا مالا »[3] للمؤرخ « سرى پدا ساسترى هسوركار » عن عدد
من الابطال الهنود مثل « پريتوى راج » و « شيواجى » و « رانا پرتاب
سنغ »[4] و كتاب « سيكهرم شاسترى »[5] عن « رانى أهليابای » فى منظومة
سنسكرتية . هذا إلى جانب عدة مقالات و رسائل كتبت عن تواريخ عائلة
معينة أو شخصية خاصة ، تتناول بعض النواحى من نشاطها السياسى أو
العلمى وما إلى ذلك .

وصار الصوفيون والنساك أيضا من مختلف أنحاء البلاد موضوع المؤرخين
جماعات أو فرادى حيث نرى مؤرخا يكتب عن عظيم من هؤلاء ، يحاول
الآخر عن جماعة منهم أو الذين ينتمون إلى مذهب بعينه . و مثلا وضعت
الكاتبة السنسكرتية من ولاية ميسور « الملاما »[6] كتابا قيما عن بوذا و دعوته
فى أسلوب جذاب سهل المنال باسم : « بدها چرترا مريتا » بينما نجد
« هسوركار » قد ألف كتابا جامعا عن « ولبها چاريا » و « رام داس »
باسم : « بهارتا سادهو رتنا مالا » و قدم «كاليهار داسا واسو» تاريخ حياة
كل من « سرى جيتنيا » و معاصره « أدوايتا » فى نثر خلاب سلس ذاق
و أما الكاتب القدير « أكيلا نندا سرما » فقدم تواريخ زعماء الديانات
الجدد كلهم فى كتابه المعروف عن حياة «ديانندا» و سماه « ديانند دجوجيا » .

و قام عدد من المؤرخين بوضع كتب طويلة عن علماء البلد
و أدبائه ، فى مختلف العصور ، فكتب « چندرا بهوشن شرما » عن حياة

Bharata Vira Ratna (3) Sivaji (2) Siva Raja Vijaya (1)
Sakharam Sastri (5) Rana Pratap Singh (4) Mala
Alamalamma (6)

الأديب السنسكرتى الشهير «بجنا راما» من بنارس، و وضع «نارايانا شاستري» كتابا شاملا عن حياة خمسة من مشاهير الادباء بينما نشرت المجلة الادبية السنسكريتية المعروفة «سنسكرتا چندركا» سلسلة مقالات تاريخية و أدبية عن أبرز الأدباء فى اللغة السنسكريتية قديما و حديثا. و أما السير الذاتية، فلم تتمكن فى الأدب السنسكرتى إلا فى السنين الاخيرة. و كتب الاديب «درحانند سوامى» تاريخ حياته باسم: «وديوديا» و من السير الذاتية الصادرة فى الأخيرة «إيشورا درشنا»[1] لسوامى «تپوونم»[2] من «مالابار» بولاية كيرالا. وهو الآن يقيم فى صومعة فى منطقة الهمالايا.

و طرق الأدب السنسكرتى باب التقدم الذى أحرزه بعض جهات البلاد بفضل حكامها البارزين فوضعت القصائد و القصص فى اللغة السنسكرتية عن الفقيد «كريشنا راجا»[3] مهاراجا «ميسور» الذى نالت الولاية فى عصره نهضة شاملة فى شتى الميادين، و كذلك عن المهاراجا «راما ورما»[4] فى إمارة «كوتشين» لـ «كنجان واريار»[5] المطبوع فى عام ١٩٣٠م و أما آخر مهاراجات كوتشين، فقد وضع عدة مؤلفات بنفسه فى اللغة السنسكرتية.

النقد الادبى

من ميزات اللغة السنسكرتية أنها كانت تصرف اهتماما خاصا - منذ القدم - فى دراسة تاريخ الآداب السنسكرتية حتى فى المكاتب التعليمية القديمة. و من هذه الناحية بلغ النثر السنسكرتى درجة ممتازة فى ميدان فقه اللغة و تاريخ الآداب السنسكرتية. و لـ «راجا راجا ورما» مؤلف قيم

Krishna Raja (3) Tapovanam (2) Isvaradarshna (1)
Kunhen Varier (5) Rama Varma (4)

عن اللغات الهندية - الأوربية . و يمكن أن يعد العصر الذى قضاه الأدب السنسكرتى فيما بين عام ١٩٢٥ -١٩٥١ م عصر الحركات الجديدة فى الميادين الاجتماعية و الدينية و الفلسفية . و منذ أن بدأ الهنود يلتقطون طرق الحياة الأوربية ، و عمت الرحلات الخارجية و أخذت الاصلاحات الاجتماعية و الدينية طريقها فى المجتمع الهندى ، قام الهندوسيون الارثوذكسيون لحفظ التقاليد و الطقوس الهندية القديمة فلم يألو «الـانديت» - رجل الدين الهندوسي - جهدا فى الكتابة ضد الرحلات فى الخارج ، و الزواج الحر ، وزواج الأرملة ، وغيرها من التقاليد التى كان يتمسك بها الهنادك القدامى .

و أتت حركة «آريا سماج» التى دعت إلى العودة إلى صفوة مبادئ الديانة «الويدية» الهندوكية . و ساعدت هذه الحركة على نشر التعاليم السنسكرتية و وضع عدة كتب مدرسية فى هذه اللغة . و صدرت عدة مجلات دينية أدبية تدعو إلى التمسك بالتقاليد الهندية القديمة ونشر مؤلفات الادباء السنسكرتيين و تعارض السير قدما بتيار الاصلاحات الدينية و الاجتماعية الذى كاد أن يكتسح البلاد بسرعة فائقة . و هذا لايؤدى إلى إنكار الدور الذى لعبه بعض الأدباء السنسكرتيين المتنورين فى ميدان تحقيق أهداف هذه الاصلاحات الجارية فى أنحاء العالم .

التراث السنسكرتى

لكل لغة أو أدب تراث خاص يمتاز به عن الآخر . ومن ميزات اللغة السنسكرتية روح التسامح . و بينما جاهدت السنسكرتية فى عصورها المديدة لأجل الدفاع عن أفكارها و مبادئها فلم تنس حقيقة أن الوسائل المتنوعة لتؤدي إلى الهدف الواحد ، و أرسلت آثار هذه الروح العظيمة نورا على

الفكر الهندى الحديث . و ربما يبدو هذا الرأى غريبا بالنظر إلى ماتقدم من مقاومة الأدباء السنسكرتيين - و إن لم يكن كلهم - الاصلاحات و تمسكهم بالتقاليد القديمة ، ولكن روحهم المتسامحة قد وسعت صدورهم لقبول آراء أربع مدارس مختلفة لـ «ويدانتا» الهندوكية ، و دعوا أيضا إلى محو الفوارق الطبقية و الطائفية و إلى التفاهم المتبادل و ألم يكن أى أثر لهذه الروح الهندية القديمة على فلسفة «التعايش السلمى» المعروف فى يومنا هذا ؟

و أن ارتفاع معدل دراسات الفلسفة الأوربية فى الكليات المحلية ، ومنها المنطق ، وعلم النفس ، و النظريات وفق الآراء التى أبداها الكتاب الغرب ، قد أثار اهتمام البعض لنشر هذه الفلسفة فى أوساط قراء السنسكرتية أيضا . و قام عدد من الكتاب النابغين فى اللغات الهندية و الأوربية بمهمة ترجمة عدد لابأس به من المؤلفات الغربية إلى اللغات الهندية وفى مقدمتها السنسكرتية . ونشرت مجلة «بانديت» الصادرة من بنارس ، الترجمة السنسكرتية «لمبادئ العلوم الانسانية» «لبركلى»[1] و رسائل «لوك»[2] عن «الفهم الانسانى» . وكتب الدكتور «سياما ساسترى»[3] فى عام ١٩٢٩ م كتابا بعنوان : «پاشچاتيا پراماڼا تتواومنسا تتوا» عن المنطق و الفلسفة فى الغرب . و أحدث الكتب السنسكرتية فى هذا المضمار ما لـ «وسواسورا سدهانتا سرومنى» باسم : «نيتى شاستراء» عن الاخلاق فى الفلسفة الغربية .

العلوم الحديثة

و منذ انبثق فجر العصر العلمى الحديث و بدأ الجيل الجديد يتوق للرى من مناهله العذبة ، جرى تيار فى أذهان الكتاب السنسكرتيين عن ضرورة إدخال العلوم الحديثة و منافعها و نجاحها فى ميدان اكتشاف

---

(1) Berkely (2) Locke (3) Dr. Syama Sastri

المواهب الكامنة فى الهيكل الانسانى لصالح البشرية و نفعها العام ، إلى قلوب الذين لم ينالوا قدرا وافيا من الدراسة الانجليزية . و لعبت المجلات السنسكرتية مثل ، «سنسكرتا چندركا» لأپا شاسترى و «ساه» دورا نافعا فى تحقيق هذا الهدف النبيل . وكتب «إلتور راماسوامى شاسترى» و «يوجاديانا مسرا» رسالتين عن الهندسة بينما كانت مجلة «ساه» تنشر مقالات متتالية عن شتى فروع العلوم الحديثة مثل الرياضيات ، و الكيمياء ، و الفلكيات و الحساب ، وعلم الانسان ، و الاختراعات العديدة العصرية . و وضع «ونكتا رامانيا»[١] من ميسور مؤلفا قيما عن الكتاب الهنود القدامى فى العلوم و الفلسفة و تقف ميسور فى مقدمة المناطق التى تبرعت بمؤلفات ذات قيمة كبرى فى بحث علمى دقيق عن الاكتشافات و الاختراعات العصرية ، فى اللغة السنسكرتية ، و بينما نرى أشخاصا كتبوا كثيرا عن التقدم العلمى الغربى نجد أناسا يقصون الفشل الذى منى به العلم الحديث فى ميدان البلوغ إلى غاياته المطلوبة و اكتشاف أسرار الحياة الانسانية .

و من المؤلفات السنسكرتية الموضوعة فى العلوم الحديثة «پراتياك شريرا»[٢] فى «علم التشريح» لمؤلفه «كاوى راج جننات سن» (١٩١٩ م) و«سدهانتا ندانا»[٣] فى «علم الامراض» لنفس المؤلف (١٩٢٢ م) و«رسا جالا ندهى»[٤] فى «الكيمياء الهندية» . وكتب أطباء «آيورويدا» فى مالابار ، مؤلفات هامة فى ذلك الموضوع بطريقة حديثة علمية فوضع ، وى . أن . «نايرِ» «أنوجراها ميمامسا»[٥] فى «نظرية الجراثيم» (١٩٣٨م) و يتناول أطباء آخرون مثل ، ك . أس . مهاسكر ، و أن . أس . واتوا ، فى : «سواستيا وريتا»

Siddhanta (3) Pratyak Sharira (2) Venkata Ramanayya (1)
Anugrahau Mimamsa (٥) Rasa Jala Nidhi (4) Nidana

المواضيع التى تتعلق بالصحة و طول العمر، و قام كاشيكار من بونا ببحث طويل عن منشأ آيورويدا و تطوراته و تقلباته خلال العصور الطويلة التى مرت عليه، وطبع كتابه القيم فى هذا الموضوع: آيورويدا يتارتها و جناناه فى عام ١٩٥٣ م.

ركويدا سمهتا

تقدمنا فى مفتتح المقال أن «رجويدا» لأقدم الكتب الجامعة فى اللغة السنسكرتية و كما أنه أوثق المؤلفات عن السلالة الآرية وعن ثقافاتها و حضاراتها و لغاتها و عقائدها. و أن الآريين - سواء فى الهند أو غيرها - كانوا حاملى الأدب السنسكرتى و تأثرت هذه اللغة بمعتقداتهم و آثار حضارتهم بحيث تتجلى خلال الآداب السنسكرتية المتنوعة. ولذا اشتهرت مدنيتهم بالتمدن الركويدى، بل و أن هذا التمدن بعينه التمدن الهندوسى.

أن لغة «ركويدا» تفوح منها رائحة لغة مشتركة كان ينطق بها أسلاف شعوب عديدة فى موطن مشترك و فى زمن معاصر، فمثلا فان الالفاظ التى تدل على القرابة أو التجربة الاساسية فى الحياة لفى تقارب وثيق فى النطق و المعانى فى اللغات السنسكرتية و اللاتينية و الالمانية و الانجليزية و الفارسية فان كلمة الأم، فى السنسكرتية «ماتر»[١] وفى اللاتينية «متر»[٢] وفى الانجليزية «مدر»[٣] وفى الفارسية «مادر»[٤]. وللابن فى السنسكرتية «سون»[٥] وفى ـ اللاتينية «سونو»[٦] وفى الالمانية «سن»[٧] وفى الانجليزية «سن»[٨] و هذا التشابه القريب اللغوى يدل على أساس مشترك فى التاريخ القديم عن العهد البدائى للبشرية بصفة عامة و لهذه السلالة بصفة خاصة.

Mātar (1) Matar (2) Mother (3) Mater (4) Sūnu (5)
Sūnū (6) Sunu (7) Soṇ (8)

و ما هو الموطن الأصلى للآريين هذا هو سؤال يتطلب بحثا دقيقا بطريقة علمية عميقة . و أن الكتاب الهندوسى القديم «ركويدا» و أقدم الكتب الايرانية «أوستا» يبديان تطابقا فى اللغة و الافكار أكثر مما هو فى أى كتاب آخر . و هذه المشابهة القريبة بين ركويدا و أوستا تدل على كون أجداد الهنود القدامى و الايرانيين منحدرين من أصل واحد أو - على الاقل - من موطن مشترك أو عاشوا مدة طويلة معا قبل الافتراق إلى أماكن متنائية . و علينا الآن التحقيق عن العهد الذى وضع فيه هذا الكتاب القيم .

إن الاكتشافات التاريخية التى حصلت فى منطقة «بوجاز كوئى»[1] فى الشرق الادنى و التى يرجع تاريخها إلى عهود تسبق عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، تدل على وجود علاقات عائلية بين ملك «الحثيين» و ملك «ميتانى» و كذلك جرت معاهدات و مواثيق بين العائلتين و أتى فيها ذكر الالهة كالشهداء على تلك المواثيق المعقودة بين الطرفين . و هذه الاسماء الواردة فيها للآلهة تبدى مطابقة تامة مع أسماء الآلهة المذكورة فى «ركويدا» مثلا : مثل «اندرا» و «وروناً» و «مترا» وغيرهم . و بناء على كون هؤلاء الآلهة معروفين لدى «أوستا» أيضا ظن بعض الباحثين أنها الآلهة المشتركة بين الهنود و الايرانيين من أصل آرى موحد . ولكن هجاء هذه الاسماء فى الكتابة المتعلقة بمناطق ماوراء النهرين يدل على انتمائه إلى أصل «ركويدى» . و نستطيع أن نفترض من هذا الاكتشاف التاريخى أن الثقافة الركويدية قد وطدت أركانها فى الهند قبل ١٤٠٠ عاما قبل الميلاد بزمن طويل لكى تتمكن إرسال نفوذها إلى بلدان نائية فى الشرق الادنى . و جاء ذكر أسماء ملوك «ميتانى» بأسماء

Boghaz-Koi (1)

سنسكرتية ، فى الخطوط الاثرية التى عثر عليها فى حفريات «تل العمرنا»[1] و التى يرجع عهدها إلى تاريخ أثريات «بوجاز كوئى» المذكورة ، و منها أسماء «آرتا تاما» و «ستارنا» و «تسرتا» ، وقد ورد فيها أيضا ذكر أسماء بعض ملوك «كاسى» الذين كانوا يحكمون «بابل» فيما بين فترتى ١٧٤٦—١١٨٠ قبل الميلاد ، و كلها أسماء سنسكرتية مثل «شورياس» (سوريه) و «ماريتاس» (ماروتاس) المذكور فى «ويدا» الهندى ، وغيرهما . و عثرت على مكتبة أثرية فى «أسور بنيپال» يعود عصرها إلى عام ٧٠٠ قبل الميلاد ، و فيها قائمة للآلهة المعبودة فى «أشوريا» . و منها اسم الاله «أسارا - ماراسى» مشابه للاله الأوستائى العظيم «أهورا - مزدا» . و أن كلمة «أسارا» أقرب إلى كلمة «أسورا» السنسكرتية من كلمة «أهورا» الأوستائية .

و إذا أثبت التاريخ ترعرع البوذية فى الهند فى القرن السادس قبل الميلاد فلا بدأن تكون الحضارة البرهمية و الثقافة الآرية قد وطدت أقدامها فيها قبل البوذية لأن الكتب البوذية القديمة الهندية تذكر عنهما . و كما أن النمو الأدبى البرهمى يحتاج إلى زمن كاف بعد عهد « الركويدى » لأن الأدب البرهمى المتشكل من أربعة أقسام : سوترا و أرنياكا ، و أبانيشد ، و برهمنا قدرتب بعد « ركويدا سمهتا » . و على هذا يمكن أن يقال بأن عهد « ركويدا » ربما يعود إلى ألف و خمسمائة سنة قبل الميلاد - على أقل تقدير ـ تخمينا لا تحديدا .

« الهند فى ركويدا »

يبدو من هذا الكتاب العتيق أن الآريين كانوا يملكون مساحات من الأراضى و ترعرعت فيها ثقافتهم و حضارتهم . و كما أنه يلقى ضوءا على

Tel-el-Amarna (1)

الحدود الجغرافية الهندية الركويدية ، إذ ذكر فى غربها أنهر «كوبها» (كابل) وجومتى و سواستو (سوات) ثم أسماء الأنهر الخمسة فى «بنجاب» وهى : سندهو (إندس) و تاسنا (جهلم) و أسيكنى (چنب) و پروشنى (أتراوتى أو «راوى») و «ويپاس» (بياس) و كذلك ذكر أسماء «سوتودرى» (ستلج) و «سرسوتى» «و «يمنا» و «جنجا» .

و تعيد أنا شيد الصباح فى ركويدا إلى الأذهان جمال الصباح فى مناطق بنجاب من الرعد و البرق ، وهبوط الامطار من السحب الكثيفة. و أن ذكر أنهر كوبها يدل على سيطرة الهند على أفغاستان فى تلك العهود . ثم ذكر منطقة لكل طائفة ويدية و فى مقدمتها كندهارى، و مجاونت ، و أنو ، وغيرها . و فى ميدان التطورات السياسية فى الهند فى عصر ركويدا ، يقول عن حروب الملوك العشرة ضد «شوداس» ملك قوم بهارتا . وكانت الحروب قد انتشبت بسبب التنافس لأجل السيادة بين الأقوام المختلفة القديمة و يبدو بأن تلك الحروب قدعمت الهند الركويدية كلها . و أن الأقوام الرئيسية التى كانت تقطن المناطق الغربية لاندس ، «پختون» الافغانية و «سيوا» و «وشن» و «ألينين» و فى داخل الأراضى الهندية أنو ، و پورو ، و درويو ، و توروواسا وغيرها ، و فى شرق «يمنا» «أجا» و «يكشو» و «سيكرو» من غير الآريين . و بفضل التطورات السياسية و الاختلافات الداخلية و التنافس فى السيادة كادت الهند كلها تتوحد تحت امرة حاكم رئيس و تسود السلطة الآرية على السكان الاصليين كلهم . و أن ركويدا قد أعطى أسبابا ثقافية و سياسية لاشتداد التصادم الفكرى و السياسى بين الآريين وغيرهم .

جاء ذكر الشعوب غير الآرية فى « رگويدا » بأسماء عديدة مثل « داسا » و « داسيو » و « أسورا » وغيرها و أما القواد غير الآريين فقد أتى ذكرهم كالآتى : « سيميو » و ياكتشو » و « سيگرو » و « أجا » الخ . و ذكر « رجويدا » عن نوعين من الاناس المرذولين وهما «پيساج » و « راكش » وكانوا يقومون بصرخات مخيفة فى تلك الحروب . و وصف الكتاب الجنسين الآرى وغير الآرى بعلامات تميز بين القومين ، و منها قوله عن غير الآرى بأنه أدكن اللون و أزلف الأنف ، و يتكلم بلغة تختلف تماما عن السنسكرتية الويدية ، ومحروم عن الطقوس الدينية ، الويدية ، ولايعبد الآلهة الواردة فى ويدا وغيرها من الصفات التى يتمدح عنها الآريون . و تنطبق هذه الصفات - إلى حدكبير - على الجنس الدراودى فى الهند القديمة . و مع حصول الامتزاج بين الجنسين بمرور الايام بطريق الزواج و المصاهرة القبلية فقام الآريون بطرد السكان الاصليين غير الآريين إلى المناطق الجبلية النائية أو أسرهم فلاغرو فى ذكر الركويدا بكثرة اسم « داسى » أى الأمة . ولا قى الآريون مقاومة جبارة فى الهند فى سبيل تحقيق أهدافهم ذات الوجوه الثلاثة أولا : التغلب على العنصر الاصلى، و ثانيا : السيطرة عليه سياسيا و ثقافيا ، و ثالثا : تهذيبهم و إيجاد انسجام ما بينهم و بين السكان الاصليين . و يذكر ركويدا عن القلاع الحصينة و الحضارات المادية المتقدمة لهؤلاء السكان المحليين الأصليين . و عثرت على مخلفات تلك الحضارات فى خرائب المدن الاثرية المكتشفة فى كل من « هاريا » و « موهنجو دارو » و تحتوى على النقود التاريخية و أشياء مصنوعة من الصدف الحاصل من التجارة البحرية . و لأجل هذا احتاج الآريون إلى مقاومة جبارة فى وجه حضارة قديمة

متينة مشيدة أركانها منذ عصور بالغة فى القدم و مركزها فى وادى « اندس » و لذا سمى إلههم الرئيس « اندرا » أى « فاتح المدن » ـ على حد تعبير كتبهم الدينية ـ و يصف الركويدا الأرض بقبر العبيد و إله « اندرا » بناهب مدن العبيد السود و القاضى على جيوشهم . و يذكر أيضا بأن خمسين ألف عبد أسود قد ذبحوا فى ميدان الحروب ، و قتل فيها ثلاثون ألف عبد آخر ، وكذلك حاصر « راجيسوان » مائة مدينة حصينة للملك « وانكريدا » غير الآرى فى الحروب التى جرت ضد النسل الأسود .

إن الدعاء الوارد فى الركويدا و الموجه إلى « إندرا » يلخص كمايلى :
« إن قبائل داسيو ـ عبيد ـ أحاطت بنا من جميع الجهات فهم لا يعتقدون فى شيئ ، ولا يقدمون القرابين ، و طقوسهم مختلفة وهم ليسوا أناسا شرفاء ، فيا مهلك الأعداء أهلكهم و دمر ديار جنس العبيد ! و اقض على قوم «داسا» ! و يبدو من فحوى هذه الكلمات الفكر الآرى و نظرة الجنس الآرى نحو الآخرين و مدى التصادم الفكرى الذى حصل فى الهند وقت وصول الآريين الفاتحين إليها » .

الحياة الاقتصادية

عقد ركويدا أهمية كبرى على الزراعة و رعى المواشى و الصيد . وكانت اقتصادية الطائفة الآرية الأولى تدور ـ أولا و قبل كل شيئ ـ حول الحيوانات و رعيها . و كانوا يستخدمون البقر و الثور فى الحراثة و جر العربات ، و الخيول فى المسابقات و جر العجلات و الكلاب فى الصيد و الحراسة ، و جرت عدة حروب فى سبيل نهبها و امتلاكها و كانت تصبغ آذان الحيوانات بعلامات تميز أصحابها . و كان السماد منتشرا حينذاك

فى الحقول . و لخص ركويد مهنة الفلاحة كلها فى كلمتين : « ستيتا برهمنا » أى الحراثة و الزراعة و الحصاد و الدراسة . و أتى فيه ذكر الآبار للانسان و المواشى على انفراد ، والحشرات المضرة للزرع و الطيور و الجراد ، وكثرة الأمطار و مضارها للحقول الزراعية . وكانت التجارة معروفة فى عهد « الركويدا » و المبادلات التجارية شائعة وكذلك الاتفاقيات التجارية و الاقتصادية و الثقافية فجاء فيه ذكر عرض تمثال لاندرا بقيمة عشرة أبقار سمينة و ذكر التجارة البحرية بصفة خاصة و فيه إشارة إلى الخزائن البحرية المكنونة فى بحر « أقيانوس » الذى سماه « سمدرا » . و اعترف بحق الملكية الفردية فى الممتلكات الثابتة و المتنقلة . و إنما الابن يرث أباه ولا ترث الابنة إلا إذا كانت وحيدة لأبيها . و اعترف ركويدا بحق الرجل لتبنية احد ابنا له مع مطلق الحرية . و اتخذ الهندوسيون المعاصرون لركويدا الصيد مهنة لكسب القوت ، و اللهو ، و لوقاية البلد و المواشى الأهلية من الحيوانات المفترسة .

العادات الاجتماعية

جاء فيه ذكر عدة أصناف من الملابس التحتانية و الفوقانية من نسيج الجلود او الصوف ، مطرزة من الذهب و الجلود و غيرها . و استعمل كل من الرجال و النساء أنواعا من الحلى مثل القروط و القلائد و الأساور و الخلاخل ، و الاكاليل المرصعة بالاحجار الكريمة . وكان من عادتهم تمشيط الشعر و تدهينه و تضفير شعرالنساء . و من أهم طعامهم اليومى اللبن و منتجاته و المطبوخ ومن الحبوب العديدة من الرز و الشعير ممزوجا بالسمن . فكانوا يستعملون لحوم الغنم و الماعز و اعتبروا البقرة محرومة أى « اكنيا » و منعوا المسكرات لأنها كانت تحدث الخصومات بين أفراد المجتمع وجماعاته .

وحث «ركويدا» على نوع خاص من المشروب المصنوع من عصير نبات خاص يعرف باسم «سوما» و يقدم هذا المشروب فى المناسبات الدينية. و من وسائل التسلية فيما بينهم سباق الخيل ولعب النرد و الرقص و الموسيقى و تصحب الرقص «الصنوج» و من الآلات الموسيقية الشهيرة عندهم العود و القيثار و المزمار و وسائلها القرع و الوتر، و النفخ و غيرها .

النظام الحكومى فى عهده

كان النظام الحكومى فى غاية الدقة و الترتيب الفطرى لأن التشكيلات السياسية الادارية تتدرج مراحل عديدة، و منها: (١) كرها (الأسرة) (٢) («كرام» القرية) (٣) «ديش» (المقاطعة) (٤) «جنا» (الشعب) (٥) «راشترا» (الدولة). وأما الأسرة فوحدة تتألف من بضعة نفر يعيشيون تحت رئيس عائلى، إما هوالاب أو الأخ الاكبر ويعيشون فى مكان فسيح تحيطه مزارع الأسرة ومرعى مواشيها. و القرية عبارة عن مجموع عائلات تقطن فى منطقة معينة مع ما فيها من المزارع و البيوت و المواشى و يكون على رأسها كبير يشرف على شؤونها. وكانت تشكل المقاطعة من عدة قرى مجاورة مع حدود معينة تفصلها عن شقيقاتها، من الأنهر أو الجبال أو الخطوط الوهمية معلمة بعلامات ظاهرة. و ذكر ركويدا سلسلة من الأسر و المقاطعات و الشعوب و منها خمسة شعوب معروفة و يسمى محافظ شعب بأجمعه الملك، و الدولة التى يحكمها ملك فى بلاد معينة ذات حدود و دفاع تدعى راشترا. و يقال بأن الملكية من طبيعة العصور الويدية لأن الآريين كانوا يفتحون بلدا تلو آخر حتى

أن الشعب كان يضطر لانتخاب ملك لهم لمواجهة العدو تحت قيادة منظمة و إمرة واحدة و لداحرت العادة أن يقود الملك بنفسه جيش الدفاع فى وجه الاعداء معرضا نفسه للخطر . و كان يتلقى ـ إذا صح هذا التعبير ـ تلقاء خدماته هذه طاعة الرعية و الخراج لتعضيد منصبه و الهدايا و التحف من القبائل و أعيان البلد مكافأة على إشرافه على كرامة الدولة . و عادة كان الملوك و قتذاك يقضون عيشة ترف و بذخ و يسكنون قصورا فخمة مع خدم عديدين و ورد فى رگويد ذكر قصرذى ألف باب و ألف عمود ضخم .

وكان فى مقدمة حاشيته «پروهيتا». وهو بمثابة مصاحب الملك ومرشده و وزيره الحكيم و يعتبر أيضا كاهنا عائليا للبلاط الملكى فى الشؤون الدينية . و يكون على رأس الجيش قائد عام يدعى « سينانى » و قائد القرية يسمى «كرامانى» وهو ينوب عن الملك فى تتبع شؤون القرية . وظهرت فى تلك العصور هيئات شعبية باسم : « سبها » أو « سميتى » للقيام بمهمة البحث فى مصالح الآمة و الوطن و أحيانا تقوم هذه الهيئات بانتخاب الملك و تحديد مهام منصبه . و ورد ذكر هذه « السبها » فى عدة مواضيع فى رگويدا . و يقال لرئيس هذه الهيئة «سبها ساها» و الذى له حق العضوية فيها «سبهيا» وهى بمثابة مجالس التشريع ـ فى يومنا الحاضر ـ و يذكر «رگويدا» بأنه اجتمع بأعضاء «سميتى» و جذب إلى نفسه أذهانهم ، و عبارات أخرى مماثلة تدل على ضرورة الوفاق بين الملك و بين أعضاء «سميتى» لاقرار الامن و النظام فى البلاد .

و يسمى «رگويدا» الحرب باسم : « يدها » أو «رنا» و الجيش « پريت » أو « پريتانا » . و كانت الحروب تنشب فى العهد «الرگويدى»

لأجل الدفاع و الفتح و الاستيلاء على البلاد المجاورة وسلب الغنائم. ومن الأسلحة الحربية الشهيرة إذ ذاك القوس، و السهم، و «ورما» و «أتكا» و السيف، و الرمح، و القذيفة و الخنجر، وغيرها، و تصحبها الطبول و الدفوف و الاعلام.

العلم و العلماء فى العصر الركويدى

قامت المدنية الركويدية على مبدأ فكرة عالية و حياة عادية. و ما كانت تهتم ببناء العمارات الفخمة و القلاع الشامخة مثلما كانت عادة المصريين القدماء أو الاشوريين الاشداء. ولكن أفكارها الروحية و ثقافتها الراقية كانت قد بلغت القمة و أن أنواعا من الأدعية الواردة فى ركويدا تنم عن فكرة عظيمة و معرفة جلية لأسرار الكون و حقائق الطبيعة بحيث لم يصل إليها إدراك العالم المادى الوضاح و هكذا تعتبر المدنية الركويدية مدنية روحية علمية و ثقافية بصرف النظر عن الاعتبارات المادية البالية.

و لاتحتوى فصول و أبواب هذا الكتاب القيم على الادعية أو الاناشيد الدينية أو الحكم الفكرية فقط، بل على أفكار فلسفية عالية وقصص ذات عظات وعبر عظمى. و أن «ركويدا» مجموعة الأناشيد و القصص الشعرية و الحكم الفلسفية و أشار بنفسه إلى العلماء و الفلاسفة الذين تبرعوا بنتائج فكرهم الغالى فى جمع هذه المجموعة الثمينة. فكل عالم مفكر ينشد أشعارا تضم الافكار العالية استلهمها خلال تأملاته العميقة المصحوبة بانكار الذات و التفانى فى سبيل الحق المبين، و يرث منه أولاده هذه المجموعة الفكرية و كذلك أفراد أسرته و تلاميذه، و هكذا أصبحت عائلة

من عائلات هؤلاء العلماء بمثابة مدرسة ويدية تتناقل مجموعة من هذه الاناشيد الويدية جيلا بعد جيل فصارت ذخيرة فلسفية قيمة لاتمحوها الأيام و لاتصل إليها كوارث الأزمان. و لذاسميت مجموعة «ركويدا» باسم: «ركويدا سمهتا» أي مجموعة ويدية.

أدوار النمو العلمي

و بمقتضى مبادئ «ركويدا» أن النمو العلمى يتطلب أربعة أدوار من النماء التدريجى: (١) الابتداء (٢) الانتشار (٣) الانتخاب (٤) التطبيق العلمى. و هكذا كانت المراحل التدريجية التى تدرجت عليها أدوار «ركويدا» لأنه بعد المرحلة الابتدائية لمختلف أصناف الأناشيد ترعرعت بين الأسر العلمية و العائلات الفلسفية زمنا ثم حصل جمع هذه الاناشيد كلها أو جلها فى ديوان واحد منظم باسم: «سمهتا» و أخيرا تفرع منها ثلاث من الويدات - وهى: «ساما» و «يجر» و «آثر» - و نمت و تأصلت جذورها و نظمت قواعدها و مبادئها و كتبها. و هذا التحقيق العلمى يدل على أن أطوار «ركويدا» من مراحله الابتدائية الى دور تكمله بعد أن توطدت أركان الويدات الأربعة، كانت تتطلب قرونا عديدة و أن تاريخه لمن أقدم التواريخ المتعلقة بالجنس البشرى كما أكد به كثير من العلماء البارزين - قديما و حديثا.

يحتوى «ركويدا» على ثمانين ألف بيت مع أن خمسة آلاف منها مكررة. و أن الحفاظ كانوا يحفظونها فى ظهر قلب مع الاتقان و الاعادة حينا فآخر و بعد انتشار نظام الكتابة كتب متن «ركويدا» فى غاية الدقة وكان المولعون به — منذ أقدم العصور - يحافظون على الدقائق اللفظية و اللغوية

و طبقا لقوانين الكتابة الرائجة فى اللغة السنسكرتية. و عند اكتمال كتابة «سمهتا» و تدوينه اتخذت الخطوات اللازمة لحفظه عن التحريف و التزييف بمرور الزمن و تطورات الدهر. وكانت طريقة التعليم فى ذلك العهد اجتماع عدد من التلاميذ فى بيت المعلم و يكون فى مقدمتهم أولاده و أفراد أسرته و جيرانه و يتلقون منه شفويا ما يلقى عليهم من المتن و الشرح و الايضاح و بعضهم يحفظونه أو يكتبونه على ما قدر من أدوات الكتابة فى ذلك العصر. و يحفظ التلاميذ المتون أولا بالتكرار ثم بالاستذكار مما كتبوه أمام المعلم وقت الالقاء. و هذه الطريقة القديمة كانت تعطى أهمية كبرى للنطق و التلفظ فى الالقاء و القراءة.

الديانة الركويدية

إن الديانة الرجويدية لمبنية على عبادة الآلهة التى يرجى منها البركة و الاحسان و تحقيق المرام. و أما طريقة أداء القرابين لها فتقديم اللبن و الحبوب و السمن و اللحوم و كذلك أنواعا من المرطبات الممزوجة من عصير الفواكه و النباتات، إلى جانب ترتيل الأناشيد الدينية و الأدعية الويدية و ربما تصحبها رقصات و طقوس و رسوم معينة مبينة فى «ركويدا» و يشمل الكتاب على المعانى و الحكم العميقة الكامنة وراء هذه العبادات و الطقوس، و من الطريف جدا أن «رجويدا» يسمح و يحث على العبادة أو تقديم التضحيات لآلهة كثيرة و يثبت وحدة العالم فى الأخير كمخلوق لله الواحد الذى ينتمى إليه جميع المظاهر المختلفة و إليه مصير الكون كله. و يدعوه الروح الاعظم أو العلة الأولى وكأنه يعترف بحق واحد يتحقق بطرق شتى و يعتقد بالحياة الأخرى الأبدية.

پنج تنترا

إن الكتاب السنسكرتي الشهير «پنجتنترا»[١] هو المعروف الشائع في المكتبة العربية باسم: «كليلة و دمنة» و أن الواضع الحقيقي لهذا الكتاب «وشنو شرما»[٢] و قبل أن نأتي على تفاصيل المواضيع التي يبحث عنها هذا الكتاب التاريخي الجليل نلقي نظرة خاطفة حول سبب وضعه. عاش في الهند في عهد قديم ملك نبغ في مختلف العلوم و الفنون وكان عاقلا في أعماله و حكيما في سياسته. و أما أبناؤه الثلاثة فكانوا مغفلين أغبياء لايفهمون شيئا من أمور الحكمة و شؤون السياسة. و أسف الملك على هذه الحالة أسفا شديدا و دعى يوما جميع فلاسفة عصره و أعيان مملكته للاجتماع في قصره و لكي يبحث معهم عن الوسائل التي تساعد على تحبيب أولاده في الاقدام على تحصيل العلوم و نيل الحكم. و لما تم انعقاد اجتماع الفلاسفة و الحكماء و الاعيان خطب فيهم الملك الحاذق فقال: إن أبنائي ينفرون من العلم و يبتعدون عن الحكم السياسية و يبدو أنهم محرومون من الفطانة و الذكاء. و أن الولد العاصي الغبي مثل البقرة العاقر التي لا تلد ولا تجود باللبن، فأرجو منكم العثور على وسيلة تؤدي إلى إيقاظ ذكاء أبنائي وترغيبهم في الحكم و العلوم. و أجاب البعض أن الاقبال على العلوم النحوية و اللغوية لمدة اثنتي عشرة سنة. تقريبا. ليكون عونا على تحصيل العلوم الدينية والدنيوية. فتنفتح أمامهم أبواب المعرفة و الحكم السياسية على مصاريعها. و لكن فيلسوفا من الحاضرين وقف قائلا: أيها الملك المعظم أن الحياة لقصيرة فلاينبغي لنا أن نحملها أقصر. و أن العلوم اللغوية و النحوية وغيرهما من آلات المعرفة و العلم تتطلب زمنا طويلا لاتقانها و التمكن فيها. و ضرب

---

(1) Panchtantra (2) Vishnu Sharma

المثل المشهور لدى العلماء : إن العلوم اللغوية بحر عميق لانهاية له و أن الحياة قصيرة تواجه عدة عوائق فى طريق امتدادها ، و اقترح بضرورة اختيار الأهم من العلوم و اتباع أقرب الطرق و أسهل الوسائل لنيل الحقائق و معرفة العلوم الأساسية . و أن فى مملكتكم برهمى فيلسوف يدعى « وشنو شرما » فاذا سلم الملك أبناءه إليه فانه يشحد أذهانهم و يزكى نفوسهم .

هذا هو محل الاختلاف بين الباحثين فى سبب وضع هذا الكتاب . فيقول البعض بأن « بيدبا » رأس الفلاسفة فى عصر الملك الهندى العظيم « دبشليم » هو واضعه . و هكذا بدأ البعض ينسبون الكتاب إليه . و أما الرأى الآخر الذى يقول بتأليفه الفيلسوف «ويشنو شرما» فيضيف : أن الملك قبل اقتراح الفيلسوف و أمر لاحضار البرهمى الفقيه «ويشنو شرما» إلى الحضرة الملكية فقال : أيها الناسك الجليل أرجو منك تعليم أبنائى لكى يصبحوا نابغين و حاذقين فى العلوم الدينية و الدنيوية و يكونوا أذكياء فى الحياة العملية . ثم أمر الملك بفتح خزائن القصر للفيلسوف لكى يتصرف فيها كما يشاء ، و كذلك رفع درجته و عظم شأنه .

و لكن الحكيم الهندى المذكور رد الملك قائلا : أيها الملك ! انى لا أقول إلا الحق الصريح . ولست من الذين يبيعون الحكمة و العلم بالمتاع الدنيوى الفانى . إن اعتزازى هذا من التزهد فى المال ، و أن العلماء يجودون بالعلم و لايريدون عليه مالا ولاشكورا . ولكنى أحاول لتثقيف أبنائك و ينجحون فى حياتهم العملية . و يقال بأن كتاب « پنچتنترا» أقدم الكتب القصصية فى العالم و يرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد . و كان الكتاب يدعى فى أول الأمر باسم : « نيتى شاسترا »[1] و أن الكتب

---

(1) Nithi Sashtra

الويدية الهندوسية المليئة بالحكايات و القصص مع أن العلوم ما كانت فى الماضى مقسمة - كما هى الآن - إلى أنواع و فنون و لكنها تجمع فى كتاب واحد سواء أكانت منها الفلسفة أو التاريخ أو العلوم السياسية و القصص و الروايات وغيرها . و الآن أصبحت القصص فنا قائما بذاته .

و عند البعض الآخر أن السبب المذكور لوضع « بنجتنترا » لا يوافق الحقيقة الواقعية إلى حد كبير لأن مجرد سرد الحكايات و بيان القصص الاسطورية فكيف يوقد أذهان هؤلاء الامراء السفهاء و يفتح عقولهم إلى حد كونهم نابغين فى السياسة و فقهين فى العلوم ؟ و يمكن أن يقال بأن واضعه أراد ذكر سبب لوضعه هذه الحكايات و القصص ذات العبر و الحكم العديدة فاخترع قصة الملك و أبنائه لأن الهند كانت تحت نفوذ الملوك حينذاك و أن معظم أبناء الملوك قد انغمسوا فى الترف و الملذات الدنيوية بحيث ما كانوا يعدون أكفاء لتولى الامور السياسية فى البلاد بكياسة و فطانة فكان وجه الانتساب أوفق و أسهل . و فيما يلى بعض المصادر التى اقتبس منها المؤلف قصصه و حكاياته . و أن « پنج تنترا » يذكر عن « راماين » و « منوسمرتى » و «منو» و «شانكيا» وكذلك ورد فيه ذكر الكهان البوذيين ، وفيه أيضا قصص ورد ذكرها فى « مهابهارت » . وكل هذا يدل على أن « وشنو شرما » صاحب الكتاب قد ولد الامبراطور الهندى العظيم « چندراگپتا » ، وكما أنه يثبت ولادته فى القرن الأخير قبل الميلاد فى أيام ملوك الاسرة « الكنشكية » حينما كانت البوذية دين الدولة فقيل بأن الملك « كنشك » كان يحكم من «كاشى» إلى « بندهياشل » جنوبا و إلى «كاشغر» و « يارقند» شمالا و إلى حدود الفارس غربا ويعنى هذا أن

مملكته كانت تشمل بنجاب و ولاية أترپرديش ، و كشمير وغيرها من نواحى الهند الشمالية و جزءا كبيرا من آسيا الوسطى . و كانت عاصمته « تكشيلا » الواقعة بقرب « پشاور » الحاضرة .

فلسفة پنج تنترا

يقرر كتاب « پنج تنترا » أولا أن العلم أحسن شيئ فى الدنيا و أثمنه و أشرفه و لايمكن سارق أن يسرقه و لاناهب أن ينهبه و لاينفد بكثرة الانفاق بل يزداد و لايضعف بالاستعمال بل يتقوى وهو يرفع قدر الوضيع ، و أنه مثل النهر الذى يجرى دائما بدون انقطاع . و تلخص فلسفته : إن العلم يؤدى إلى الحلم ، و الحلم يؤدى إلى التعقل و التوازن و همايؤديان إلى الثروة و النجاح فى الحياة العملية ، و هذه هى الوسائل المؤدية إلى سعادتى الدارين .

وهو يقرر الحقائق بألسنة الحيوانات و الطيور . ويقسم العلم إلى قسمين (١) « شسترا وديا »[1] وهو الفنون الحربية . (٢) « شاسترا وديا » وهو الفنون الأدبية . و يقول الكتاب عن القسمين إن الاول يجعل صاحبه عرضة للسخرية عند ما يعجز عن حمل السلاح لكبره أو عجزه . و أما الثانى فيجعل صاحبه معززا و مكرما طول عمره وهو بمثابة العين النفاذة التى تبصر الحقائق الكامنة و تزيل الشكوك المتراكمة فى غشاوة العين المادية الظاهرية . و يقول الكتاب أيضا فان المرأ لابد أن يسيح فى الارض و يرى العالم بعينيه و يجرب الامور بنفسه حتى يبلغ رشده و يكتمل علمه .

---

(1) Sastra Vidhya إن أستر : فى السنسكرتية ، السلاح و « وديا » : العلم .

و أن ينج تنترا يعطى أهمية خاصة لشؤون التجارة و المال. ولايوافق صاحب هذا الكتاب القديم الهندى مع القائلين بالتقاعد و التكاسل باسم القضاء و الحظ العذرى و يقول بأن هذا هو فلسفة الكسالى العاجزين و أن الثروة و العزة ينالهما أولو العزائم و أصحاب الهمم. و التمسك بأذيال القضاء و القدر من شيمة الراضين بالخمول والذلة. و على الانسان العاقل أن ينسى كلمة الحظ ويسعى بجهده البالغ، فان خاب فى مسعاه فلاضير عليه بل عليه أن يبحث عن أسباب فشله لكى يتفاداها فى المستقبل. و ما الحظ الاعمالك فى حياتك فعليك أن تترك الكسل تركا كاملا و تشد إزرك للعمل بجد و نشاط. و أن الكنز الملقى أمام عينيك لايصل اليك بنفسه بل عليك أنت السعى لنيله. و لاتقعدنك الخيبة عن العمل. و أن اليأس لهو الاثم الاكبر. و العاقل لايكون جبانا و لاخائرا فى الملمات و المصائب، بل يزداد همة و عزما و يتغلب عليها بالهمة و العطالة.

و لا بد للنجاح أن يصحب العقل مع العمل المتواصل و الذى لايتنازل عن عقله فى أوقات الشدائد يخرج منها سليما مثل القرد الذى فى اليم. وكذلك المثابرة لازمة للنجاح و الجبان لايشرع فى عمل ما خوفا للفشل. و أما الرجل الجريئ فهولايتوانى عن العمل مهما تراكمت أمامه العراقيل. و يقال فى مثل قديم: إن الرجل الذى لايفقد توازنه العقلى فى السراء و الضراء لن يصيبه سوء. وأن الانسان العامل المجد هو الذى يستحق الحياة و يصبح موضع الاحترام لدى الناس. و لاينبغى للانسان أن يعيش طويلا مثل الغراب الذى يعمر طويلا على الجيفة. و أن

المتصف بالعلم و الشجاعة و النبالة و العزة لهوالحى الحقيق و أن حياة الطيور التى تملأ بطونها بمناقيرها لاتستحق أن تذكر بأنها حياة جديرة بالاعتبار .

و يعطينا پنج تنترا صورة كاملة عن مجتمع ذلك العصر وقد فصل بتوسع الشؤون السياسية للبلاد و الحيل الحربية و أساليب الدفاع . و يلوم الملك الفاسد فيقول : إن الملك الذى لايدافع عن رعيته و يعجز عن نشر السعادة و الرخاء فيهم كمثل ثدى التيس فى عنقه بحيث لايسمن و لايغنى من جوع . و الشعب لايحب الملك الفاسد الذى لاينتفع منه رعاياه و يفر منه من حوله مثل أن تنفض الطيور من الشجرة الناشفة . وقد ترك كتاب «پنج تنترا» أثرا و اسعا فى أوساط الشعب الهندى وأصبح كثير من أقواله و حكمه مضرب الامثال فى اللغات الهندية كلها . و تتناقله الالسن بكثرة .

القصص القصيرة فى السنسكرتية

إن فن القصص القصيرة ليس بجديد فى الادب السنسكرتى و أن كتاب «پنج تنترا» بنفسه مثال حى لانتشار هذا الفن فى الآداب الهندية القديمة ولكن للشكل الحديث الذى يمتازبه اليوم قد صارت السنسكرتية مدينة للآداب الغربية و منذ انبثق فجر العصر الحديث بدأت القصص القصيرة بأساليبها الحديثة و مواضيعها العصرية تأخذ مكانة مرموقة فى الادب السنسكرتى . وفى مسابقات القصص القصيرة المعقودة فى «ناكپور» و «مدراس» وغيرهما ساهم الكتاب السنسكرتيون مساهمة فعالة بحيث تتفق و التطور الحديث .

وكانت الحكايات و القصص الشعبية تلعب دورا هاما فى العهود الماضية فى الهند ، فى سبيل تشحيذ الهمم و إثارة المواهب الكامنة فى الانسان

وكذلك كان يستخدمها المعلمون لتثقيف التلاميذ و تمكين المبادئ النبيلة و الافكار الثمينة فى أذهانهم ولم تتخذ صورة فن خاص قائم بذاته. و نرى الكتب الهندية و الملاحم القديمة مليئة بأنواع من الحكايات و القصص تتخللها الامثال و الشؤون السياسية و العلمية و الدينية وغيرها.

و أما الروايات فتطور حديث فى الادب السنسكرتى و تتجلى فيها مظاهر الاثر العربى. و نرى فى السنسكرتية ثلاثة أنواع من الروايات الشائعة الموضوعة على أساس هندى خالص، و المقتبسة من الافكار الغربية و المترجمة من الروايات الاوربية أو من اللغات الهندية الاخرى. ونشر الروائى السنسكرتى الشهير «أپاشاستری»[1] رواية «لوانيامای» لـ «بنكيم چندرا»[2] أولا فى صحيفته «سمسكرتا چندركا» ثم فى شكل كتاب خاص. و ترجم الكاتب «هرى چران»[3] الرواية القيمة «كپلاكندالا» لنفس الكاتب البنغالى، و أما الاديب «أپندرانات سن» فوضع ثلاثة من الروايات الشهيرة «پلى تشاوى» و «مكاراندكا» و «كندامالا» و كتب «هريداسا سدهاندا» رواية باسم: «سرالا».

و نشرت فى صفحات المجلات الادبية السنسكرتية عدة قصص طويلة و روايات خيالية و مسرحيات شتى. و أن القصائد القصيرة التى تدور حول موضوع خاص أو نظرية مفردة ما كانت تعرف الانادرا فى الادب السنسكرتى ولكن نتيجة للتحول الغربى الذى تسربت آثاره إلى الآداب الهندية، بدأ الشعراء السنسكرتيون أيضا ينتهجون النهج الغربى فى هذا المضمار الادبى. ومن البحور السنسكرتية القديمة الشهيرة «مكتكاس»

Charan Hari (3) Bankim Chandra (2) Appa Sastri (1)

و «يكمكاس» و «كلپكاس» و «كلاكاس» و «ساتا كاس» . و ظهر معظم الأشعار السنسكرتية الحديثة فى صفحات المجلات و النشرات الدورية إلا أن بعض الشعراء الجدد قد بذلوا محاولة ضئيلة لنشر مجموعات شعرية حديثة ، ومنها المقتبسات من الأدب الانجليزى أو المترجمة منه .

ونشر الكاتب السنسكرتى المعروف «راما چندرا چاريا»[1] بمدراس عام ١٩٢٤م «لگهوكاويا مالا»[2] أى ديوان الأشعار القصيرة ، وهى عبارة عن مجموعة من التراجم لأشهر التمثيليات و القصائد و الروايات الاجنبية . وأما «كنكنى مالا»[3] «لما لنغا شاسترى» فقد صدرت بمدراس عام ١٩٣٤م وهى مجموعة أدبية قيمة فى اللغة السنسكرتية و تشمل على اقتباسات من شكسبير ، و «وردسورت» و «شلى» و «جونسن» . و فى مقدمة القطع الأدبية القيمة أيضا ديوان «بدهيا پشپانجلى» «لسبرامنيا أير» المطبوع فى مدراس عام ١٩٥١م و منه أشعار سنسكرتية أصيلة و مقتبسة من الآداب الانجليزية . و وضعت الكاتبة الهندية المعروفة شريمتى «كريشنا مورتى شاسترى» قصيدة طويلة فى اللغة السنسكرتية عن الطبيعة و متعلقاتها باسم : «پراكرتى ولاسا» وطبعت فى «مدراى» عام ١٩٥٠م .

الروايات و التمثيليات

أما الروايات و التمثيليات الجدية ـ غير الهزلية ـ فلاتعد و لاتحصر خلال العصور الطويلة التى مربها الأدب السنسكرتى ، ولكن كلها أو جلها فى أسلوب قديم . وقد ألف الكاتب الكبير «بهٹا سرى نارينا شاسترى» وحده ستة و تسعين تمثيلية و لاتزال تلك التمثيليات متداولة بين الكتاب

Laghukavyamala (2) Rama Chandra Charya (1)
Kinkini Mala (3)

الجدد و القدامى على حد سواء. لأن النظريات و المبادئ الانسانية الخالدة لاتقبل التغير أو الزوال مع مرور الزمن. وكم من أعمال أدبية قديمة تمنح للكاتب الحديث أفكارا جديدة و عوامل حية لتشحيذ همته و إيقاظ قريحته.

مستقبل السنسكرتية

يبذل أصحاب الاقلام فى اللغة السنسكرتية و المعجبون بها مساعى جميلة فى سبيل الاحتفاظ بهذه اللغة و تراثها الأدبى و صونهما من عوامل الانقراض. و لكنهم قد أدركوا تماما بأن البحوث التاريخية أو التحقيقات الفنية وحدها لاتجدى شيئا فى منح لغة مهما كان مجدها الماضى حيا أو باهرا، الحيوية و قدرة التمشى مع مقتضيات العصر. و أن النشاط الحاضر الذى يقوم به فى شعب الحياة هو الذى يتدرج بها إلى مدارج الرقى و صفوف اللغات الحية المتداولة. و رأى الكاتب السنسكرتى الهندى بثاقب فكره هذه الحقيقة المرة و بدأ يقوم بنشاط متنوع النواحى لجعل اللغة السنسكرتية سهلة المنال، و مقبولة لدى عامة الناس و خاصتهم، و غنية بالأفكار الحديثة، و مطية للمصطلحات العصرية بدون تعقيد. و لاينطق بها الآن «الباندیت» ـ العالم الدينى الذى يتبحر فى اللغة السنسكرتية لغرض تحصيل العلوم الدينية «الويدية» ـ فقط بل ينطق بها و يكتب فيها عدد كثير من المثقفين بثقافات غربية و المتعلمين فى معاهد و جامعات حديثة عصرية.

و اليوم تستخدم السنسكرتية كلغة الامتحانات الجامعية فى بعض المواد الدراسية، ومع أن عددا لابأس به من الهنود سجلوا اللغة السنسكرتية كلغتهم الأمية ـ الوطنية ـ فى الاحصاء الماضى فى الهند. و هكذا تتطور السنسكرتية إلى مدارج اللغات العصرية مع الاحتفاظ بتراثها الادبى القديم

و ميزاتها التاريخية و الدينية لدى الشعب الهندى . و أنها تجد ـ كما وجدت فى الماضى ـ أرضا خصبة لتترعرع و مجالا فسيحا لتنمو و مهدا طيبا لتطور و تتقدم فى أحضان الهند الحديثة .



منظر رائع من تمثيلية كاليداس شكنتلا

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية
رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا
جلد ١٣ شماره ١

المجلد الثالث عشر | يناير سنة ١٩٦٢ | العدد الاول

الصفحة

محتويات هذا العدد

٣ الأدب الهندي المعاصر ـ ١٢ .... الاستاد محي الدين الألوائى ٣١

الموضوع

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

جلد ۱۳ شماره ۱

المجلد الثالث عشر | يناير سنة ١٩٦٢ | العدد الأول

الصفحة

محتويات هذا العدد

١	كيرلة القديمة و العرب	....	للاستاذ أبو الصلاح	١
٢	كتاب ألف ليلة وليلة	....	للدكتور سبتى كمار جترجى	١٣
٣	الأدب الهندى المعاصر ـ ١٢	....	الاستاذ محى الدين الألوائى	٣١
٤	مشروع الانماء الريفى فى الهند	....	س ـ ن ـ بهتا تشاريا	٤٩
٥	العلاقات التجارية بين الهند ومصر	....	للدكتور فوزى رياض عيسى	٦٤
٦	ماذا ساهم به غاندى فى التعليم	....	للاستاذ جى ـ راماتشندرن	٦٩
٧	حياتى ـ ٨	....	لامام الهند مولانا أبى الكلام آزاد	٨٣
٨	الكلمات العربية و الفارسية فى اللغات الهندية ـ ٤	....	البروفيسور محمد أجمل خان	٨٨
٩	الصيد و الالعاب الرياضية عند المغول العظماء	....		٩٦
١٠	طاغور	....	للدكتور يحيى الخشاب ، مدير الادارة الثقافية بالجامعة العربية و استاذ اللغات الشرقية بجامعة القاهرة	١١٠
١١	الأنباء الثقافية	....		١١٨

الأدب الهندى المعاصر

— ١٢ —

للاستاذ عين الدين الألوأى

الهندية

ومنذ الحركة « الابداعية » نزل الكاتب الهندى إلى ميدان تحرير المجتمع من الأوضاع الفاسدة سواء فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية. و كان الكاتب من قبل يتناول الطرق و الوسائل المادية، أو بعبارة أخرى وسائل علمانية، للتحرر الاجتماعى والاقتصادى و ما كان يعالج هذا الموضوع الحساس من الناحية الروحية و الاخلاقية. ولكن هذه الحركة قد استهدفت إلى اتجاه ذهنى تقدمى متحرر كامل كما كانت تهدف إليه حركة « براجاتى‌وادا »[1] التى كان يتزعمها الكاتب الهندى الشهير « بريم جاند »[2].

الأدب النقدى

و أن حركة « براجاتى‌وادا » لما كانت إلا حركة تقدمية هندية خالصة تهدف إلى تحرير المجتمع من الأوضاع البالية، و تنبيه الوعى القومى نحوما تفشى فى المجتمع من الفقر و الجهل و المرض و كما أنها نقطة التقاء بين الابداعية الاخيرة و الفلسفة الماركسية. و فى الوقت ذاته نشأت فى بعض الدوائر الأدبية حركة إبداعية هندية مبنية على فكرة ربوبية خفية وعلى رحمة الطبيعة وجمالها بدون المساس بالشخصيات المشؤومة و المنكوبة كما هو الشائع فى الروايات والقصص الابداعية الأخرى. وعرفت هذه الحركة باسم: « تشاياواداً »[3] وهى بمثابة نقطة التقاء بين الابداعية الأولى و الفلسفة « الويدية » الهندية القديمة.

---

(١) Pragativāda (٢) Prem Chand (٣) Chhāyāvāda

وهاتان الحركتان الرئيسيتان فى الأدب الهندى لم تتخلصا من آثار الافراط و التفريط لأن الشعراء الذين كانوا يأخذون زمام الحركة «التشاياوادية» متغاضون عن مشاكل عامة الشعب وويلات الكروب التى تتأرجح فيها من الاضطهاد الطائفى والقمع السياسى و التحرج الاقتصادى و آلام المرض و الجهل و الفقر، بينما كان زعماء الحركة التقدمية مبالغين فى تضخيم استغلال الجنس البشرى بعضهم بعضا وتفخيم المأساة الاجتماعية بطريقة مرعبة تشمئز منها النفوس ومثلهم فى ذلك كمثل المتهاونين من أصحاب الحركة الصادية الخليعة و هكذا شاهد الكاتب الهندى البشرية و مساعيها فى ضوء جديد مبنى على نظرية علمانية خالصة فى سبيل الكفاح لأجل التحرير فى شتى المرافق وفى مقدمتها المستوى الاجتماعى - الاقتصادى وأن هذه النظرية العلمانية فى حد ذاتها تمثل ناحية من التحرر الفكرى. و لكن الغرض الأساسى لحركة «براجاتى وادا» لم يكن التوصل إلى هذا الاتجاه الذهنى المتحرر الكامل و كانت فى أيامها الأولى، تتطلب تعاون جميع العناصر التى تضمر مثل هذه الفكرة التقدمية فى جوانحها.

و تحولت هذه الحركة من بدايتها الشائكة كنشاط أدبى لتوسيع نطاق المشاركة الوجدانية الاجتماعية للكتاب، وتقدير أهمية الآداب و الدور الذى ينبغى أن تلعبه فى الميادين الاصلاحية الشعبية إلى نظرية قريبة للفلسفة الشيوعية الكاملة مستنكرة جميع طبقات كتاب التقاليد الديموقراطية المتحررة الذين ساهموا و أيدوا هذه الحركة من مهدها فى مختلف مراحلها. و كلما تزداد ارتباطا بالشيوعية بدأت الحركة أن تكون أدبية سياسية فوق الاعتبارات الأخرى وصارت أفكار الحركات الابداعية الأخرى فى منأى

عنها بحكم العرف السياسى الذى تسيطر عليها . و ما كان روادها الكبار بعيدين عن الشائبة « الصادية » قبل أن تصير تحت وطأة التصلب الكامل فى الميدان الفكرى التقدمى وفى مقدمة هؤلاء الرواد « ياشبال »[٢] (١٩٠٤ م) و « ناجارجن »[٣] (١٩١١ م) و « راميشوار شكلا »[٤] (١٩١٥ م) و « نريش مهتا » (١٩٢٤ م) و إذا أردنا الشاهد من خارج دائرة الادب الهندى على المظاهر التقدمية فى اللغات الشقيقة فان مقالات ومؤلفات « كريشان جندار » و « خواجه أحمد عباس » لشائعة و معروفة فى ميدان الانشراح الصادى .

بريم جاند

وانتقلت الروايات الهندية بيد الكاتب الأديب « بريم جاند » من الاعتقاد الشائع الخاطئ أن الكتابة التقدمية يجب أن تدور حول العمال الكادحين والفلاحين فى الحقول ، إلى شخصيات أصيلة فى الحالات الراهنة فى المجتمع . واتسمت رواياته باتزان طبقى بعيد عن الورطة التى وقع فيها بعض دعاة حركة « براجاتى وادا » فى عصره . و بناء على كون معظم كتاب هذه المدرسة منتمين إلى طبقة مدنية ما كانوا مكترثين بعقلية الشعب الذى يريدون تصويرهم ومعالجة قضاياهم وحل مشاكلهم . وأدى هذا الموقف إلى وجود كمية وافرة من النقد المتحايز مدفوعا بقصر النظر و التطرف الفكرى . وهؤلاء الكتاب لم يصرفوا اهتماما بالغا نحو الأعمال الأدبية « لبريم جاند » الذى اعتبروه رائد الأدب الهندى الحديث و قائده .

---

(١) مطبوعات الأكاديميات للآداب الهندية

Rameshwar shukla (٤) Nagarjun (٣) Yashpal (٢)

واختار «بريم جاند» كأول روائي منظم في الهندية شخصياته من الطبقات السفلى ومن جماعة الفلاحين الذين اختلطوا به أو اختلط بهم، وما كان يفلت من قلمه الوقاد النظام الاقطاعي الارستقراطي المنهار، والوعي الاجتماعي العام في أوساط طبقات الأمة. وكان يصور الحياة الريفية وحالات العمال والفلاحين بكل أمانة و إخلاص وفي غاية العطف و الحنان. و امتازت رواياته دائما بحسن اختيار المواضيع الحساسة و الفصول الواقعية المحكمة وكانت الأدوار في غاية الدقة و الاتقان و حسن التصوير والتوضيح للوقائع. وهكذا أتت كتاباته إلى مضمار الاصلاح الريفي والفكري والاجتماعي في أوسع معانيها وأدقها.

العصر الاصلاحي

إن الحركتين السابقتين والنهضات العامة التي حدثت في الميدان الأدبي في الهند وخارجها ونشاط حركة الآداب الاجنبية وتبادل الزيارات والبعثات الثقافية بين البلدان المختلفة فكلها دفع الكتاب في اللغة الهندية أيضا إلى دراسة أحوال المجتمع والوقوف على طرق حياته وتناولها في أعمالهم الأدبية بحثا ونقدا وتحقيقا ونشدانا للعلاج الناجع لما أصابه من علل وأمراض وطلبا للوسائل الكافية لمحو الأمية وإزالة الفقر من الطبقات المختلفة التي كانت تكابد الآلام والعناء تحت وطأة التعقيدات الاجتماعية البالية والعرف البالي الذي تسرب إليه الوهن والضعف حسب تقلبات الزمن وتطورات العالم. ولعب الشعر دورا هاما في هذا العصر مع أنه كان يتمسك بأسلوبه التقليدي القديم ويدور حول الأخيلة والتشبيهات القديمة. وأن الشاعر الشهير حينذاك «مايتلي شران جبتا»[1] من أتباع تلك المدرسة أبدى مرونة فكرية وفطانة فنية في التمسك بالمبادئ الانسانية والدعوة إلى المثل

---

(١) Maithlisharan Gupta

العليا فى الحياة، بينما كان الشاعران « مكهن لال جترويدى »[١] (١٨٨٨ م) و « بالاكريشنا شرما »[٢] (١٩٠٨ م) المعروف بلقب « ناوين » من الشعراء الوطنيين الخياليين الميالين إلى فن التلميح والرموز.

وكان الشاعر الغزلى « بالاكريشنا راو » (١٩١١ م) الذى ينتمى إلى مدرسة «تشاياواد» أسدى خدمات جليلة فى ميدان القصائد الغزلية. وقد امتاز أسلوبه بالبساطة والسهولة بحيث يقرب شعره إلى القلوب.

القصص الخيالية

إن التقدم العام فى الفكر العلمى والنظرية الفلسفية ترك أثرا فعالا فى القصص الخيالية فى الأدب الهندى. وقد استهدف كتاب ذلك العصر إلى تصوير حياة الشعب كما هى لتكون نبراسا للمصلحين الذين يعملون لرفع مستوى مرافق حياة المجتمع وقد نشطت فيه أيضا القصص التاريخية التى توضح الوقائع القديمة وتصور الأساطير الشهيرة ومن الذين حرزوا قصب السباق فى هذا المضمار، « بهكوات شران أبادهيايا »[٣] (١٩١٠ م) إذ كان يصور المناظر العامة لتطورات المجتمع من العصر « الويدى » إلى العصور الوسطى، وأما « راهول سنكرتيانا »[٤] (١٨٩٥ م) فكان يحاول لتوضيح طرق الحياة فى الجمهوريات القديمة، بينما كان « رنجايا راكهوا »[٥] (١٩٢٢ م) يهتم بمدينة « موهن‌جودارو »[٦].

و ممالايخفى على الباحث المحايد أن هذه المحاولات لا تخلو من المبالغات أو الأخطاء التاريخية الواقعية، مع وفرة علوم كتابها، ودقة معانيها

---

(١) Makhanlal Chaturvedi (٢) Balakrishna Sharma (٣) Bhagavatsharan Upadhyaya (٤) Rahul Sankrityayana (٥) Rangeya Raghava (٦) Mohenjodaro.

واختيار أساليبها . لأنهم بنوا مواضيع قصصهم على نظريات خاصة قبل اعتبارات تاريخية علمية محضة . وكرس «راهول سنكرتيانا» كتاباته لمحو الفوارق الطبقية والاجتماعية وأن « ياشبال»[١] لكان يسعى للنهضة النسوية . وأن الكتاب الشهير « لهزارى براساد»[٢] (١٩٠٧) « تاريخ حياة بانابهتا »[٣] فى مثابة وثيقة تاريخية عن العصر بأسره فى القرون الوسطى (وقد اختارت أكاديمية الآداب الهندية هذا الكتاب للترجمة إلى اللغات الهندية المحلية الاخرى وترجم فعلا إلى لغة «مليالم» لغة ولاية «كيرالا» بجنوب الهند) .

و بين فيه الكاتب الكبير بطريق تاريخ حياة شخصية عظيمة الأحوال الخارجية لذلك الدور بل والحالات الاجتماعية و الفكرية والاقتصادية الراهنة حينذاك وصارت هذه الرواية فريدة فى نوعها فى اللغة الهندية فى أسلوبها و نسقها و ذوقها الفنى وزخرفها الانشائى، ومع كونها فى أصل سنسكرتى خالص إلى حد كبير فهى سهلة المنال و يسيرة الفهم وهى ظاهرة حية خالدة فى عالم القصص التاريخية وإذا استثنينا الصفات الوثيقية فانها «طرفة» قصصية وعمل أدبى خالد نشأ فى الأدب الهندى خلال «أيام الحرب العالمية العظمى». ولا يمكن أن يقال بأن هذا الكتاب الذى هومن نتاج عالم هندى سنسكرتى كبير وأستاذ جليل ونقاد حكيم قد نال قبولا وذيوعا يستحقهما. ومن الروايات الجديرة بالذكر فى ذلك العصر أيضا، روايات الكاتب المعروف «و يرينداونلال ورما»[٤] (١٨٨٨) ، التى تدور حول زوال النظام الاقطاعى فى البلاد .

Banabhatta Ki Atmakatha (٣) Hazari Prasad (٢) Yashpal (١)

Vrindavanalal Varma (٤)

الانسانية

حدث تطور خطير فى فترة الحرب أيضا فلم يكن ذهنيا مثل «تشايا واداء أو موضوعيا مثل «براجاتى واداء بل كان تحولا أساسيا نحو تقويم الانسان و تهذيبه وهو نشدان حقيق لشخصية الانسان و كرامته و ذاتيه، نتيجة للوعى الواسع و الشعور المعنوى الهام فكانت الحركتان المذكورتان فى الواقع، أمواجا طالحة لهذا الفيضان المتصاعد، لأن «براجاتى وادا» كانت مظهرا لرد الفعل الناتج من العاطفية المتضخمة وتخيلات «تشاياوادا» كما كانت الاخيرة رد فعل ضد المذاهب التربوية الناشفة و الزاهدة التى كانت تسود العصر الذى سبقها. و بعبارة أدق فكل هذا وذاك ما هو إلا آثار لتيار تطور جديرهام يدعى ـ قديما ـ نشدان الذاتية أو الوجود الشخصى. ولم يكن هذا الوعى الانسانى وليد لغة أو بلد أو شعب بمفرده بل هو نتيجة للتطورات العصرية فى الغرب و الروحيات المتطورة فى الشرق، وهذا التحول الجديد قد رفض القيم التى كانت تعتبر من قبل مقدسة ذات حرمة خاصة وكذلك تغاضى عن تقديس الاشخاص وعن منحهم مكانة فوق الطاقة البشرية، و أعطى الارجحية للتقدم الصناعى والعلمى واستنكر المذاهب التقليدية الوضعية التى تعرقل تقدم الانسان فى مرافق الحياة المختلفة. ولكن هذا القول لا ينطبق تماما على حالات بلد واسع عريق مثل الهند لأننا لانزال نرى مئات المذاهب و الآراء الاسطورية تحث على تقديس ما لايستحق التقديس وتكبير ما لا يحقه من الاشخاص والظواهر الكونية الأخرى مع وفرتها وكثرتها. وانعكست تلك الآراء فى الأدب الهندى الشائع اذ ذاك فى مناطق «مدهيا ديش»[1] الواسعة الأرجاء.

Madhya Desa (1)

النزعة المعاصرة

امتازت النزعة المعاصرة فى الأدب الهندى بعدم التمايل إلى الأبطال وإن لم تكن معادية له ، و أما الكاتب الهندى الحديث لايرى فرقا فى الشعور وإدراك الامور فى الشرق والغرب وأنهما يسيران فى صوب واحد فى آمال البشرية وآلامها . ويهتم الأدب الهندى المعاصر وكتابه بالرجل العادى وقضاياه ومشاكله ، و يفتخر بعاديته وبساطته فى الحب ، والفرح و السراء و الضراء والمطامع و الأمانى ولايرى تضادا فى بساطة الأدب وجودته و لايعترف بتناقض بين ميزته و شعبيته لأن الأدب الحى الخالد هو الأدب الشعبى أو أدب الشعب . إن الانسان لعادى وفريد فى وقت واحد . وهما صفتان متلازمتان تميزانه عن سائر الكائنات الارضية والسماوية ، وعليهما يتوقف نظام الكون ورفاهية البشر بحذا فيره . و على هذا الأساس يستوحى الكاتب الهندى مواهبه الادبية ويعلق عليه آمال الأفراد والجماعات وأن القيم الانسانية الحقيقية لهى التى تصدر من إنسان عادى لامن بطل روائى أو نظرى .

الشعر الحديث

إن الشعر المعاصر الهندى لمبنى على فكرة الانسان العادى ، و أن عناصره مشتقة من أفكاره وطرق حياته وأخلاقه ، بعيدا عن الآمال المعلقة فى صرح السماء وعن التشاؤم أوالتزهد المتفشى فى الآداب القديمة . و كلما يعترف بكرامة الانسان وميزاته ومواهبه الفذة فلاينسى صغر مركزه وقلة أهميته فى هذا الكون الهائل الذى قد ترك هذا الانسان المتفاخر المتفاخم كائنا حيا فى غاية البساطة وصغر الحجم يدب فوق

حفنة من التراب البالى فى الكون الذى يحتاج بعض كواكبه إلى ملايين السنين لكى يصل ضوءه إلى هذه الكرة الارضية، مع كون سرعة الضوء أسرع الاشياء فى الكون إلى يومنا هذا.

و إن مواهب الانسان لعظيمة وهائلة وهو مخزن القوى والمقدرات. ويستطيع أن يشحذها ويصقلها حتى يصل إلى مكانة مرموقة فى الحياة بشرط أن يدرك تماما ضعفه ومحال وهنه و إمكانية أخطائه وزلاته فى الخطوات التى تخطوها إلى الأمام بسرعة فائقة. ولهذا كله يهتم الشعرالحديث بتربية القيم الاخلاقية للانسان بدون أن يخادعه بآمال كاذبة ويكاشفه بما هو ليس فى متناول يده. وهذه هى طريقة أقرب إلى الواقع اكثر منه إلى الخيال.

مدرسة «برايوجاوادا»[١]

منذ عام ١٩٤٦ م صدرت مجلة أدبية هندية من «إله باد»[٢] باسم «براتيكا»[٣]، و بعد سنين انتقلت إلى دلهى و مع قصر حياتها قد تركت أثرا خالدا فى التطور الحديث للادب الهندى. و نشأت فى البلاد حينذاك طائفة من الكتاب فى اللغة الهندية يعرفون باسم «بارى مالا»[٤]، و ساهموا مساهمة فعالة فى تحرير وتزويد «براتيكا». وكان كلهم أو جلهم منتمين إلى المذهب «التجريبى» وقد استحقت الحركة الجديدة لهذا الاسم لأن زعماءها كانوا يقومون ببحث عن القيم الانسانية وتجربة مع الاخلاق البشرية فى مختلف أدوارها وأطوارها. ورجح شعراء هذه المدرسة أن تدعى أشعارهم أشعارا حديثة تجريبية.

---

(١) Prayogavada (٢) Allahabad (٣) Pratika (٤) Parimala

وتبرعت مدرسة « برايوجاواادا » بأعمال أدبية قيمة إلى مكتبة الأدب الهندى مع أن الوهن قد تسرب إلى جدرانها لعدم وجود معارضة منظمة لها كما كانت من قبل الحركة التقدمية المنظمة . وأصدرت هذه المدرسة عدة مؤلفات ومنشورات دورية قيمة وأعمالا أدبية أخرى نشطة . ومما هو جدير بالذكر بأن كتاب هذه المدرسة قد عرفوا بأصحاب المذهب الفردى ، لأنهم كانوا يعطون أهمية خاصة لقيم الأفراد والميزات الشخصية . وأتى هذا التنديد من قبل التقدميين الذين لهم مأرب ما فى ذلك مع أن هؤلاء يعترفون كل الاعتراف بالحريات الشخصية والكلامية والفكرية وما إلى ذلك من مقتضيات القيم الانسانية الاساسية وأن كل تطور حديث لايخلو من الخلل ومحل الانتقاد لسبب أو آخر . وما كنا مبالغين إذا قلنا بأن الكاتب المعاصر أكثر تحققا وتفهما وتوسعا فى العلوم والمدارك من سابقه لأن المجال الذى أمامه أوسع والفرص السانحة له أكثر والوسائل التى أتيحت أمامه أسهل وأيسر . وهو أقرب إلى الدقة فى اختيار الأساليب وتدقيق المعانى ممن هو قبله . وإن قيل عكس هذا مع أن الشعر الحديث يهتم بقضايا المجتمع الحاضر ويبحث حول السجايا الانسانية الماثلة أمام أعيننا بطريقة إنشائية عصرية .

النثر فى الأدب الهندى الحديث

إذا كانت مهمة الشعر تصوير الأمور بطريقة جذابة خيالية بحيث تحبب إلى القلوب و تقرب إلى الأذهان بطريق الأمثلة و التشبيهات الحسنة ، فان النثر يهدف إلى توضيح الأمور كما هى بدون إفراط ولا تفريط ورائده العدل و قائده المنطق ، ويتطلب تفكرا عميقا وبحثا دقيقا مع الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة . وأن النثر الذى فى صورة الشعر ـ ما يقال بالنثر الشعرى ـ

لايتمشى مع التطور الحديث فى الأدب العالمى مهما كان نوعه وموضوعه. ونظراً لأهمية النثر العادى واللهجات الشعبية فى التمثيليات و القصص و المقالات والرسائل انصرف الكاتب المعاصر عن تقليد الماضى فى اختيار الاساليب المعقدة والتشبيهات العويصة والمعانى الصعبة فى أذهان عامة القراء.

و تلعب الاذاعة، فى الهند دوراً هاما فى ميدان تشجيع الكتاب الشعبيين فى أسلوب سهل عادى. و أن التمثيليات النثرية و القصص الدارجة المخصصة لتذاع فى الراديو لنقطة تحول فى تاريخ النثر الهندى. و من بين كتاب التمثيليات النثرية الحديثة فى أوائل هذا القرن «أوبيندرانات اشك»[١] (١٩١٠م) و «رامكار ورما»[٢] (١٩٠٥م) و «لكشمى نارابن مشرا»[٣] (١٩٠٣م) و «بهارت بهوشن أجروال»[٤] (١٩١٩م). و أن الكاتب العصرى لايستطيع أن يتغاضى عن الواقعة و يهرب عن مجريات الأمور و تطوراتها و فى الوقت ذاته لايقدر على أن يزعم بأنه غير منحاز إلى مذهب بعينه أو نظرية خاصة واذا ادعى ذلك فما هو إلا زعم عسير الاثبات، و مع هذا كله فان الكاتب الهندى يحاول لأن يكون قلمه متحررا من الميول الفردية و الانطباعات المدرسية المختلفة و قصارى جهده فتح ميدان فسيح أمام القارى العادى لاكتشاف ذخائر الأدب الهندى ومحتوياته بكل وثوق وتفهم.

القصص الشعبية

إن القصص الشعبية الهندية مخازن كبرى لعادات الشعب و معتقداتهم و وجهة نظرهم نحو الحياة فلا تخلو لغة من اللغات المحلية فى الهند عن قصص

---

(١) Upendranath Ashk (٢) Ramkumar Varma (٣) Lakshminarayan Mishra (٤) Bharatabhushan Agarwal

شعبية مليئة بمختلف مظاهر الحياة للطبقات العديدة و الطوائف المختلفة فى البلاد. و بسبب اختلاط الحضارات و المدنيات الآرية و الدراويدية القديمة وغيرهما من الواردة و الناشئة انتشرت سلسلة من القصص فى طول البلاد و عرضها، متشابهة بعضها بعضا فى الافكار الكامنة فيها و متقاربة فى أساليبها و نسقها وإن اختلفت اللغات واللهجات. و نجد فيها قصصا تدور حول المواضيع المختلفة مثل المعتقدات و الطقوس، و الاجتماعيات و الاقتصاديات و الانظمة السياسية و الدينية وغيرها. و أن الأدب الهندى ـ كسائر الآداب الحية الأخرى فى العالم ـ يعطى أهمية كبرى للقصص الشعبية لأنها تضع صورة صحيحة واضحة للحياة الشعبية أمام القارى الذكى وأن الهند كانت توجه ـ منذ القدم ـ اهتماما بالغا نحو هذا النوع من القصص و تتجلى فيها مظاهر الحزن و السرور، و الحب و العشق، و المودة و العداوة، و السعادة و الشقاوة، و مع أنها تفتح أمام الناس أبواب المعلومات عن الاجيال الماضية و الدروس القيمة التى تصير نبراسا فى حياتهم، و تساعد أيضا على إدخال السرور و البهجة فى القلوب بمعرفة الطقوس و المراسيم العديدة لأهالى القبائل و القرى النائية عن العمران، و لهذه الأسباب وغيرها فقد احتلت مكانة مرموقة فى الأدب الراقى و امتلأت المكتبات العلمية و الادبية بهذا النوع الشيق من الكتب التى تسلى القلوب و تشحذ الأذهان و تزودها بما يغنيها و يمتع.

و ذكر سابقا بأن المراكز الرئيسية «للهندية» تقع فى الهند الوسطى المعروفة من قبل باسم: «مدهيا برديش» أو «مدهيا بهارت» (وأن «مدهيا» فى اللغة السنسكرتية و الهندية هى الوسط) و من الأنسب إذاً

أن ننقل هنا قصة شعبية سائدة فى أوساط الشعب فى منطقة «مدهيا برديش» وكتبها الاديب الهندى مبارك على، و تدور هذه القصة حول مولد المغزل، و تتخلله المعتقدات الهندوسية فى الآلهة و التناسخ وغيرهما.

كانت حورية تقطن فى الجنة و اسمها «بهركى» وقد اشتهرت بالنسج بالخيوط لأنواع من الاثواب الغالية منها و الرخيصة و إذا أخذت بيدها الخيوط فتنسج بالمرة أجود أصناف الفنيلات و الاردية و القمصان و الجوارب وغيرها. وقد ذاع صيتها فى أوساط الحور اللاتى يقمن معها فى الجنة. و بلغ شأنها إلى أسماع ملكة الحور فأرادت أن تعلم جميع بناتها النسج وكانت فى بحث عن ماهرة فى هذه المهنة منذ مدة طويلة. و قالت الملكة مرة لزميلاتها : أسمع بأن «بهركى» لتقوم بمهنة النسج فى غاية المهارة و الدقة. و إذا كانت مستعدة لأن تسكن معى و تعلم الاميرات النسج و الخياطة فأهلا بها.

فقالت إحدى الزميلات للملكة بعد تأمل كثير : و ما أدراك فان «بهركى» وحدها الماهرة فى هذه المهنة ؟ و يمكن أن يكون هناك عدد آخر من الحور يجدن الخياطة و النسج فمن الأفضل أن توجهى دعوة إلى الحور جميعا يحضرن حفلة خاصة فتقومى ببحث شخصى عن كل فرد يجيد هذه الصناعة، ثم تجرى مسابقة فى عملية الخياطة لكى تفوز التى تحرز قصب السباق فى الاختبار بميزة الاقامة فى قصر الملكة و تعليم الأميرات.

واستعجبت الملكة بهذا الرأى فاتخذت الاجراءات فورا لعقد جلسة المسابقة. وتجمعت مئات الحوريات اللائى يعرفن الخياطة والنسج فى القصر. و بذلن جهودهن فى حظيرة الاختبار ليرين مهارتهن ودقة حرفهن وجودتها

وأخيرا فازت « بهركى » بالدرجة الأولى ونالت الجائزة من الملكة بمشورة زميلاتهن المحكمات . و قالت لها الملكة : انت الآن فى غنى عن الاقامة فى بيتك ، و منذ اللحظة صرت إحدى زميلاتى اللاتى أكن لهن كل احترام وتقدير ، فتقومين فى قصرى وتعلمين بناتى الخياطة والنسج ؛ وهكذا انفتح أمام « بهركى » باب الرخاء والرفاهية وصارت معلمة الاميرات وصاحبة النفوذ لدى الملكة ورجال القصر الكبار . وأما الملكة فقد لاحظت فيها الحماس والفطانة ونالت الاميرات نجاحا ملحوظا فى هذه الصناعة بيد « بهركى » والجوائز تنهمر عليها . ولما تمت النعم الوافرة « لبهركى » وصارت صاحبة الأموال الباهظة والمهارة الفنية ، والجاه العظيم ، والنفوذ الواسع لدى الملكة والأميرات بدأ الغرور يتسرب إلى ذهنها وعاملت بالغطرسة والكبرياء مع الزميلات الأخريات للملكة . ودب الشقاق بينها وصاحباتها فى القصر وأخيرا شكت الزميلات الأخريات إلى الملكة عن عادات ، « بهركى » وغطرستها و كبريائها و تعاظمها أمام الحور مع أن الغرور لايليق بهن مطلقا ، وأن الذنب الذى ارتكبته « بهركى » لخليقة لطردها من الجنة . وعندما سمعت الملكة الحورية هذه الشكوى ثارت غيظا تجاه « بهركى » لما اقترفته ذنبا لا يليق بمكانة الجنة فقالت : كيف تتكبر بهركى ؟ وإذا تكبرت فليست بحورية فلا تستحق . طبعا . للاقامة بالجنة . وإنى أعاقبها فورا فخذنها إلى فى الحال !

وبعد لحظات أتت بها ثلاثة من الحوريات وقامت أمام الملكة فنظرت إليها فى غاية البغض و السخط فقالت : ماذا أسمع عنك ؟ فهل بدأت تتغطرسين فى الجنة ؟ وهل تعلمين أن الجنة محرومة على الذين

يقترفون الغرور والموبقات الأخرى ؟ و هل تعرفين ما هى عقوبة الغرور فى الجنة ؟ وهى الطرد منها فورا و قانونها لن يسمح لأحد من هذا القبيل أن يقيم فى حظيرتها. وقالت «بهركى» بكل خضوع وخنوع : إنى أعترف بهذا الخطأ الذى ارتكبته ولا أعود اليه أبدا. فاعفى عنى هذه المرة و إذا عملت شيئا من هذا النوع من الخطايا التى لا تليق بمقام الجنة مرة أخرى فعاقبينى، و أجابت الملكة فورا : إن القانون لن يخرق لأجلك فلا بد أن تعاقبى بمقتضاه وعليك أن تتركى الجنة وتذهبى إلى الارض . و لكنى أراعى أمرا فى شأنك فأعيدك إليها فى الصورة التى تريدينها فقولى فورا رغبتك فيها وبأية صورة تحبين أن تتشكلى ؟

وفى هذه الساعة أتى فقير إلى ساحة القصر الملكى وكان فى زى عجيب غريب عن أزياء أهالى الجنة فاستغربت الحوريات فسألته الملكة : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وأنت فى شكل غريب لم نرمثله من قبل . و أجاب الفقير فورا : إنى إنسان عادى أعيش فى الأرض . وقالت الملكة : أنت إنسان وتعيش فى الأرض ونعرف بأن أهالى الأرض نماذج للغرور والغطرسة. ومثل هؤلاء لايستحقون المجيئ إلى الجنة والاقامة فيها فكيف الوصول إلى الجنة ؟

أجاب الفقير : إنى تركت الغرور و شرور الدنيا الأخرى و قضيت فترة طويلة فى العبادة والتحنث، ووقفت حياتى كلها فى سبيل خدمة وطنى وقومى وضحيت بكل رخيص وغال فى صالحهم ولهذا بلغت درجة السعد ووصلت إلى هنا يا حورية الجنة !

قالت الملكة فى غاية السرور : و إذا كان الأمر كذلك فانك رجل طيب و يسعدنى الترحيب بك فقل لى أية خدمة تريدها منا من الجنة ونحن رهن إشارتك !

قال الفقير: أيتها الملكة! إن سكان الأرض لفى منتهى الضيق و الضنك من العيش، ولا ينالون فيها القوت الكافى و الكساء اللازم حتى يستروا عوراتهم بأوراق الأشجار و يقضوا معظم أوقاتهم فى الأوغاد والغابات فى طلب الرزق و الكساء!!

فأعطينى شيئا يساعد على نسج الخيوط وصنع الأثواب اللازمة لستر عورات الناس وسد آثار البرودة و الحرارة الشديدتين. و أن القطن و الصوف ينبتان بكثرة فى الأرض ولكن أهاليها لايعرفون الوسائل التى تستفاد منهما و تصنع منهما الكسوة.

قالت الملكة: أيها الفقير الطيب خذ مكانك الآن و إذا شاء الاله فانى أعطيك شيئا يفيدك و أهل الدنيا جميعا و يكون عونا على نهضة الحضارة الانسانية و التقدم الاقتصادى فيها. ثم توجهت إلى «بهركى» فقالت مخاطبة إليها: فى أية صورة تريدين العودة إلى الأرض؟

وقالت «بهركى»: إنى لا أريد الذهاب إليها فى أية صورة أو شكل وإذا كنت مصرة على ذلك فأرسلينى إليها فى شكل يكون مفيداً لجميع البشر وتفرح قلوبهم وتزول متاعبهم وأكون موضع استحسان وقبول لدى الجميع.

و قالت الملكة ضاحكة: إنى أعرف تماما بأن «بهركى» لشاطرة جدا ولاشك لأنك طلبت بأمور ثلاثة تعيشين بها فى الأرض مكرمة و معززة وحورية أرضية كاملة مدى الأيام! فلا بأس فانى أمنحك الآن شكلا يقضى جميع مطالبك و رغباتك فى الأرض. و سرعان أن أخذت الملكة قليلا من الماء فى يدها و نفخت فيه ترتل بعض الكلمات فرشتها

على «بهركى» فتحولت فورا إلى «مغزل» صغير و سقطت على الأرض، و التقطت الملكة منها «المغزل» و أعطته إلى الفقير فقال الفقير مستسلما له منها : أيتها الملكة الحورية ! إنه يبدو شيئا تافها وماذا يغنى للبشر ؟ أجابت الملكة : «إنه صغير حجمه بل وخطير أمره، ويكمن فيه تقدم الانسانية جمعاء و الحضارات بحذافيرها . و يستخدم فى صنع الأزياء كلها ويدخل السرور فى قلب كل بائس فقير و يغنى كل بيت صغير و يزين كل قصر كبير ويحبه الكبار و الصغار و الشيوخ و الشباب على حد سواء و يفتح طريق الرقى فى مرافق الحياة كلها فخذه واذهب به توا إلى الأرض !!»

و يقال بأن الانسان قد بدأ استخدام المغزل و شرع به فتح وسائل المدنيات الحديثة و أسباب الحضارات العصرية، ودخل كل بيت مدر وحجر رافعا أعلام الرقى و الرفاهية و الرخاء. و هذه قصة شعبية تحمل فى طياتها عظات بينات و دروسا قيمة إلى جانب تصوير واضح لمعتقدات الطوائف الهندية القديمة حول الكون والحوريات و تناسخ الأجسام و اعتقادها الراسخ فى القيم الأخلاقية و الثواب و العقاب المترتبين عليها تحليا و تخليا . ولا تخلو أيضا عن النظرة الوقادة نحو التقدم الانسانى المادى و المعنوى على قدم المساواة .

———